سعد بن أبى وقاص

إعداد

صلاح عبد الحميد

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
٥١ ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب : فرسان الإسلام) سعد بن أبى
وقاص(المؤلـــف : صلاح محمد عبد الحميد
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف:
رقم الإيداع : ٨٩٢١
طبعة ثانية : ٢٠١٥

فهرسة أثناء النشر

صلاح محمد عبد الحميد ؛
فرسان الإسلام / صلاح محمد عبد الحميد – القاهرة .- ط١
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع
٨٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك :- ٩٧٧-٦١٦٩-٢٨-٧
١ – الإسلام - تراجم
أ. العنوان ٩٢٢.١

آية قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)

صدق الله العظيم

طه 114

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

صحابة رسول الله هم من صحبوا رسول الله محمد بن عبد الله وآمنوا بدعوته. والصحبة في اللغة هي الملازمة والمرافقة والمعاشرة. رافق الصحابة رسول الله محمد بن عبد الله في أغلب فترات حياته بعد الدعوة، وساعدوه على إيصال رسالة الإسلام ودافعوا عنه في مرات عدة. وبعد وفاة رسول الله محمد بن عبد الله قام الصحابة بتولي الخلافة في الفترة التي عرفت بعهد الخلفاء الراشدين، وتفرق الصحابة في الأمصار لنشر تعاليم الإسلام والجهاد وفتح المدن والدول. وقاد الصحابة العديد من المعارك الإسلامية في بلاد الشام وفارس ومصر وخراسان والهند وبلاد ما وراء النهر.

عن أبو هريرة _رضي الله عنه_ عنه قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) "

وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة ، وضيق الحال بخلاف غيرهم ، ولأن إنفاقهم كان في نصرته -صلى الله عليه وسلم- ، وحمايته ، وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم ، وقد قال تعالى (لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً)(الحديد:10) وهذا كله مع ما كان فيهم في أنفسهم من الشفقة ، والتودد

والخشوع ، والتواضع ، والإيثار ، والجهاد في الله حق جهاده ، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ، ولا ينال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"

وقال البيضاوي _رحمه الله تعالى_ : " معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه ، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص ، وصدق النية) " مع ما كانوا من القلة ، وكثرة الحاجة والضرورة "

وقيل " السبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرها ، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلة عدد المتقدمين ، وقلة أنصارهم فكان جهادهم أفضل ، ولأن بذل النفس مع النصرة ، ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها . "

ومما جاء في فضلهم -رضي الله عنهم- حديث عبد الله بن مسعود _رضي الله عنه_ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) "وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس ، وصدقوه حين كذبه الناس ، وعزروه ، ونصروه ، وآووه ، وواسوه بأموالهم وأنفسهم ، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام"

ومما جاء في فضلهم ما رواه أبو بردة _رضي الله عنه_ قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) " وهو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في أقطار الأرض"

وها هو أمير المؤمنين علي_ رضي الله عنه_ يصف حال الصحابة فعن أبي راكة قال : صليت خلف علي صلاة الفجر فلما سلم انفلت عن يمينه ثم مكث كأن عليه الكآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال : لقد رأيت أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– فما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون ضمرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله ويراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح فهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم.

فالصحابة هم الذين عرفوا من أحوال رسول الله محمد بن عبد الله ما جعلهم يهرعون إليه ويضعون مقاليدهم بين يديه ينغمسون في فيضه الذي بهر منهم الأبصار وأزال عنهم الأكدار، وصيرهم أهلاً لمجالسته ومحادثته ومرافقته ومخالطته، حتى آثروه على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم

وأولادهم، وبلغ من محبتهم له وإيثارهم الموت في سبيل دعوته للإسلام أن هان عليهم اقتحام المنية كراهة أن يجدوه في موقف مؤذ أوكربة يغض من قدره

وهناك عدة ثوابت عند أهل السنة عن الصحابة، منها:

- الصحابة كلهم عدول، لا يجوز تجريحهم ولا تعديل البعض منهم دون البعض.
- الصحابة لم يذكرهم الله في القرآن إلا وأثنى عليهم وأجزل الأجر والمثوبة لهم، ولم يفرق بين فرد منهم وفرد ولا بين طائفة وطائفة. وفيهم يقول النبي محمد) :خيرالقرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)

•

ولعل من القائد الحوارى الزبير بن العوام من حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم له صفاته الخاصة به وكذلك له حياته الخاصة التى سوف نعرض لها فى هذا الكتاب لإلقاء الضوء على شخصية الصحابى الجليل الزبير بن العوام فى هذه السطور .

المؤلف

من هو سعد بن أبى وقاص ؟

إنه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

رأى وهو ابن سبع عشرة سنة في منامه أنه يغرق في بحر الظلمات، وبينما هو يتخبط فيه ا، إذ رأى قمرا، فاتبعه، وقد سبقه إلى هذا القمر ثلاثة، هم: زيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، ولما طلع الصباح سمع أن رسول الله يدعو إلى دين جديد؛ فعلم أن هذا هو القمر الذي رآه؛ فذهب على الفور؛ ليلحق بركب السابقين إلى الإسلام.

موقفه مع أمه

وتظهر روعة ذلك البطل عندما حاولت أمه مرارا أن ترده عن طريق الإيمان عبثاً، فباءت محاولاتها بالفشل أمام القلب العامر بالإيمان، فامتنعت عن الطعام والشراب، ورفضت أن تتناول شيئاً منه، حتى يرجع ولدها سعد عن دينه، ولكنه قال لها: أماه إنني أحبك، ولكن حبي لله ولرسوله أكبر من أي حب آخر.

وأوشكت أمه على الهلاك، وأخذ الناس سعداً ليراها عسى أن يرق قلبه، فيرجع عما في رأسه، فيقول لها سعد: يا أماه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا، ما تركت ديني، فإن شئت كلي، وإن شئت لا تأكلي، وعندها أدركت الأم أن ابنها لن يرده عن دينه شيء؛ فرجعت عن عزمها، وأكلت، وشربت لينزل وحي الله –عز وجل– يبارك ما فعل سعد، قال تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) [لقمان: 15]

ولازم سعد -رضي الله عنه- رسول الله بمكة حتى أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجر مع المسلمين ليكون بجوار رسول الله في محاربة المشركين، ولينال شرف الجهاد في سبيل الله، وحسبه أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من أراق دماء الكافرين، فقد بعث رسول الله سرية فيها سعد بن أبي وقاص إلى مكان في أرض الحجاز اسمه سابغ، وهو من جانب الجحفة، فانكفأ المشركون على المسلمين، فحماهم سعد يومئذ بسهامه، فكان أول قتال في الإسلام.

ويوم أحد، وقف سعد يدافع عن رسول الله، ويحارب المشركين، ويرميهم حتى نالته دعوة الرسول، حين رآه فسر منه وقال: "يا سعد، ارم فداك أبي وأمي" [متفق عليه]، فكان سعد يقول: ما جمع رسول الله أبويه لأحد قبلي، وكانت ابنته عائشة بنت سعد تباهي بذلك وتفخر، وتقول: "أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله يوم أحد بالأبوين."

وذات يوم، مرض سعد، فأتاه رسول الله ليزوره، ويطمئن عليه؛ فتساءل سعد قائلاً: إن قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنتي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا"، فقال سعد: "بالشطر" (نصفه)، قال رسول الله صلى اله عليه وسلم " لا". ثم قال: "الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، و إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في (فم) امرأتك" [متفق عليه]، وقد رزق الله سعداً الأبناء، فكان له إبراهيم، وعامر، وعمر، ومحمد، وعائشة.

وقد كان رسول الله يحب سعدا، فعن جابر قال: كنا مع رسول الله إذ أقبل سعد، فقال: "هذا خالي، فليرني امرؤ خاله" [الترمذي والطبراني وابن سعد]

وكان سعد مستجاب الدعوة أيضا، فقد دعا له النبي قائلا: "اللهم استجب لسعد إذا دعاك" [الترمذي]

وعين سعد أميرا على الكوفة، أثناء خلافة الفاروق عمر –رضي الله عنه– الذي كان يتابع ولاته ويتقصى أحوال رعيته، وفي يوم من الأيام اتجه عمر –رضي الله عنه– إلى الكوفة ليحقق في شكوى أهلها أن سعدا يطيل الصلاة، فما مر عمر بمسجد إلا وأحسنوا فيه القول، إلا رجلا واحدا قال غير ذلك، فكان مما افتراه على سعد: "أنه لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية –يخرج بالجيش–" فدعا سعد عليه قائلاً: "اللهم إن كان كاذبا، فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فكان ذلك الرجل يمشي في الطريق، ويغمز الجواري، وقد سقط حاجباه من عينيه" لما سئل عن ذلك قال: "شيخ مفتون، أصابته دعوة سعد."

وذات يوم سمع سعد رجلاً يسب عليا وطلحة والزبير، فنهاه فلم ينته، فقال سعد للرجل: إذن أدعو عليك؛ فقال الرجل: أراك تتهددني كأنك نبي؛ فانصرف سعد، وتوضأ، وصلى ركعتين، رفع يديه، وقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواما سبقت لهم منك الحسنى؛ وأنه قد أسخطك سبه إياهم؛ فاجعله آية وعبرة؛ فلم يمر غير وقت قصير حتى خرجت ناقة هوجاء من أحد البيوت، وهجمت على الرجل الذي سب الصحابة؛ فأخذته بين قوائمها، وما زالت تتخبط حتى مات.

وحينما اشتد خطر الفرس على حدود الدولة الإسلامية أرسل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– جيشًا بقيادة سعد بن أبي وقاص، ليقابلهم سعد في معركة القادسية، واشتد حصار المسلمين على الفرس وأعوانهم، حتى قتل الكثير منهم، وعلى رأسهم القائد رستم، ودب الرعب في باقي جنود الفرس، فكان النصر العظيم للمسلمين يوم القادسية، ولم يكن لسعد هذا اليوم فقط في قتال الفرس، بل كان هناك يوم مجيد آخر للمسلمين تحت قيادته، في موقعة المدائن؛ حيث تجمع الفرس في محاولة أخيرة للتصدي لزحف المسلمين، وأدرك سعد أن الوقت في صالح الفرس، فقرر أن يهاجمهم فجأة، وكان نهر دجلة قد امتلأ عن آخره، في وقت الفيضان، فسبحت خيول المسلمين في النهر وعبرته إلى الضفة الأخرى لتقع المواجهة، ويحقق المسلمون نصرا كبيرا.

وعندما طعن أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، اختار عمر ستة من المسلمين ليتم اختيار خليفة منهم، وأخبر عمر أن الرسول مات وهو عنهم راض، وكان من هؤلاء الستة سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه–،

حتى قال عمر: "لو كنت مختارا للخلافة واحدا ، لاخترت سعدا"، وقال لمن حوله: "إن وليها سعد فذاك، وإن وليها غيره فليستعن بسعد"، فكان عثمان بن عفان يستعين به في كل أموره.

وحدثت الفتنة آخر أيام الإمام علي -رضي الله عنه- فكان سعد بعيدا عنهم؛ واعتزلها، وأمر أهله وأولاده ألا ينقلوا إليه شيئًا من أخبارها.

وعندما جاءه ابنه عامر يطلب منه أن يقاتل المتحاربين ويطلب الخلافة لنفسه، قال سعد في شفافية المسلم الصادق: أي بني، أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسا؟ لا والله حتى أعطي سيفًا، إن ضربت به مسلما نبا عنه (أي لم يصبه بأذى)، وإن ضربت به كافرا قتله، ولقد سمعت رسول الله يقول: "إن الله يحب الغني الخفي التقي" [أحمد ومسلم.[

وفي سنة (55هـ) أوصى سعد أهله أن يكفنوه في ثوب قديم، كان عنده، وقال لهم: "لقد لقيت المشركين فيه يوم بدر، ولقد ادخرته لهذا اليوم."

وتوفي رحمة الله عليه بالعقيق، فحمل على الأعناق إلى المدينة، ودفن بها ليكون آخر من مات من العشرة المبشرين بالجنة وآخر من مات من المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين

شجاعة سعد بن أبى وقاص

كان سعد بن ابي وقاص من أبطال المسلمين وشجعانهم في مكة المكرمة قبل الهجرة وفي المدينة المنورة بعد الهجرة

قال ابن اسحق(كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم عن قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعونحتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي(أي فك بعير)فشجه ، فكان اول دم أريق في الإسلام

وبعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه إلى المدينة المنورة ، وأقام الدولة الإسلامية وأنشأ المسجد وصارت للمسلمين صولة وجولة ، برز سعد بن أبي وقاص فكان من القادة والأمراء الذين أسهموا في بناء الدولة وخاصة في المجال العسكري والغزو والدفاع عن الإسلام

وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم سعداً أميراً على بعض السرايا ، كما أنه قد رافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غزواته دون أن يتأخر عن أي منها ، وكان سعد أول من

رمى بسهم في سبيل الله في اول سرية أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة النبوية ، فقد استطاع سعد أن يحمي المسلمين بنباله وأن يجنبهم الهزيمة ، فرجع المشركون بذلك مقهورين

وقاتل سعد بن أبي وقاص في غزوة بدر الكبرى قتال الأبطال ، وروى سيفه من دماء المشركين ، فقد روي أنه كان يقاتل يوم بدر قتال الفارس بالرجال ، فهو بشجاعته كأنه يركب فرساً تجوس خلال الصفوف ، ويغير على أبطال المشركين فيحصد رؤوس القوم حصدا

وفي غزوة أحد أبلى بلاء حسناً ، فقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم و شهد له الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناول سعداً السهام ويرمي بها الأعداء ويقول : ارم سعد فداك أبي وأمي ، وقد كان ماهراً في رميه دقيقاً في إصابته

وفي غزوة الفتح الأعظم ، فتح مكة اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليحمل راية من رايات المهاجرين ليدخل بها فاتحاً ، وقد كانت ثلاثاً

جرأة سعد بن ابي وقاص في قول الحق

كان سعد رضي الله تعالى عنه يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم ، ولا ظلم ظالم ولا استبداد مستبد، لأنه يقول ما يرضي الرب ولا يسخطه

فقد دخل سعد على معاوية فقال له: ما لك لم تقاتل معنا؟ فقال: إني مرت بي ريح مظلمة فقلت: أخ أخ. فأنخت راحلتي حتى انجلت عني ثم عرفت الطريق فسرت، فقال معاوية: ليس في كتاب الله: أخ أخ. ولكن قال الله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} فو الله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد : ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي."

وأخرج أبو يعلى عن أبي بكر بن خالد بن عرفطة أتى سعد بن مالك رضي الله عنه فقال : بلغني أنكم تعرضون على سب علي بالكوفة ، فهل سببته؟قال : معاذ اللهوالذي نفس سعد بيده لو وضع المنشار على مفرقي ما سببته أبداً

وقال أبو زرعة الدمشقي: ثنا أحمد بن خالد الذهبي أبو سعيد ثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه قال: " لما حج معاوية وأخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك، قال: فما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك واجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه ؟ والله لان يكون في إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولان يكون لي ما قال له حين غز تبوكا " ألا ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " ؟ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولان يكون لي ما قال له يوم خيبر: " لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار " أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولان أكون صهره على ابنته ولي منها

دعوة سعد بن ابي وقاص المستجابة

لقد جاءت الأخبار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد دعا لسعد بأن يستجيب الله دعا ءه إذا دعاه ، فكان بناء على ذلك مستجاب الدعوة ، ونبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم :اتقوا دعوات سعد والشواهد على استجابة دعوة سعد بن أبي وقاص كثيرة نسوق منها ما يلي

جاء في صحيح البخاري : حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال:

شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . إلى عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . قالوا إنه لا يحسن يصلي

فقال سعد : أما أنا , فانّي كنت أصلي لهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخّرم عنها , أركد في الأوليين , وأحذف الأخرين.

قال عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق ، ثم بعث رجالآ يسألون عنه في مجالس الكوفة , فكانوا لا يأتون مجلسآ إلا أثنو عليه خيرآ , وقالوا معروفآ , حتى أتوا مسجدآ من مساجدهم , فسألوا رجل يقال له أبو سعدة.

فقال : اللهم إذا سألتمونا عنه , فإنّه كان لا يعدل في القضية , ولا يقسم بالسوية , ولا يسير بالسرية.

فقال سعد : اللّهم إن كان كذابآ , فأعم بصره , وأطل فقره , وعرضه للفتن (وكان سعد مستجاب الدعوة ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له)

عن عامر بن سعد قال : بينما سعد يمشي إذ مر برجل وهو يشتم عليا ، وطلحة ، والزبير ، فقال له سعد : إنك تشتم أقواما قد سبق لهم من الله ما سبق ، والله لتكفن عن شتمهم أو لأدعون الله – عز وجل – عليك . قال : يخوفني كأنه نبي ! ! فقال سعد : اللهم إن كان يشتم أقواما قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالا . فجاءت بختية ، فأفرج الناس لها فتخبطته ، فرأيت الناس يتبعون سعدا يقولون : استجاب الله لك يا أبا إسحاق

قال سفيان بن عيينة : لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس ، وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم الفتح ، فقال رجل من بجيلةألم تر أن الله أظكهر دينــه وسعد بباب القادسية معصم فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيـم

فقال سعد : اللهم اكفنا يده ولسانه ، فجاءه سهم غرب فأصابه فخرس ، ثم خرج سعد فأرى الناس ما به من القروح في ظهره ليعتذر إليهم

سعد بن أبى وقاص ومعركة القادسية

التحرك إلى القادسية

بعد أن تحرك سعد بن أبي وقاص ﷺ بالجيش الإسلامي الذاهب لحرب الفرس من منطقة "زَرود" ووصل إلى "شَراف"، وكان قوام الجيش الإسلامي الذي معه قد وصل إلى 32 ألف جندي، ووصلته الرسالة العمرية الخالدة التي تُعدّ نموذجاً رائعاً للوصايا التي يمكن أن يوصِي بها الأمراء مَن يكلفونهم بالجيوش، واستقرَّ سعد ﷺ في "شراف" منتظرا أوامر جديدة تأتي من المدينة المنورة.

وصلت رسالة أخرى من عمر بن الخطاب بتعبئة الجيش (أي: بتنظيمه وترتيبه وكأنه على قتال)، وأمره بالتحرُّك من "شراف" إلى "القادسية" وهو على تعبئة كاملة حتى إذا باغتته جيوش فارسٍ في أية لحظة يكون على استعداد كامل لها.

بدأ سعد بن أبي وقاص ﷺ يرتِّب جيشه وهو في "شراف"، فجعل خليفته خالد بن عرفطة وهو أحد فرسان العرب المشهورين، ولم يتوجه لحرب فارس قبل ذلك، وجعل على المقدمة زهرة بن الحوِيَّة، وكانت لكل الجيوش الإسلامية مقدمات، ولكن سعداً ﷺ جعل لجيشه مقدمة وطلائع، وكانت فرقة الطلائع من أشد فرسان المسلمين مهارة وجسارة وقوة، واختار لهذه الطلائع قوة من

كل القبائل، وكانت تحت إمرة سواد بن مالك، وكانت مهمة الطلائع أن تسير في مقدمة الجيش أبعد من مرمى بصر الجيش، لتكون عيوناً على الجيش الفارسي؛ حتى لا يُباغِت الجيشَ الإسلاميَّ، وتلي المقدمةُ الطلائع.

وجعل على المقدمة عبد الله بن المعتم، وعلى الميسرة شُرَحْبِيل بن السِّمْط، وعلى المشاة حمَّال بن مالك، وعلى الخيول سلمان بن ربيعة الباهلي، وكان من المعروف أن أشد خيول العرب في قبيلة باهلة، وجعل عبد الله الخثعمي على الركبان وهي الإبل، وجعل على مؤخرة الجيش عاصم بن عمرو التميمي، صاحب السبق العظيم في حروب فارس قبل هذه الموقعة.

وجعل كل مجموعة من جيشه تحت إمرة أمير ، ثم قسَّم المجموعات إلى رايات، وتحت أمراء الرايات رؤساء القبائل، وتحت كل قبيلة العرفاء، أي على كل عشرة من الجند عريف، فالسُّلم هرميٌّ، فعلى كل عشرة عريف، وعلى كل مائة رئيس قبيلة، وعلى كل ألف حامي الراية، وعلى كل المجموعة أمير الفرقة سواء كانت مقدمة أو مؤخرة أو ميمنة أو ميسرة؛ وذلك حتى تصل الأمور بسهولة ويسر إلى كل الأفراد.

وتحرك الجيش الإسلامي الكبير على هذه التعبئة من "شراف" إلى الشمال متجها إلى "القادسية"، وفي طريقه وصلته رسالة من عمر بن الخطاب ﷺ أنِ انزْل بجيشك في عذَيب الهِجانات (منطقة تبعد عن القادسية بعدة أميال)، وأرسِل طلائعك إلى القادسية فهي باب فارس.

كان في هذا الجيش الإسلامي بضعة وسبعون ممن شهدوا بدرا، وكانوا يسمُّونهم "البدريين"، وكان في الجيش أيضا ثلاثمائة ممن له صحبة بعد بيعة الرضوان، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة، وسبعمائة من أبناء الصحابة، فكانت هذه ذخيرة قوية للمسلمين.

زود عمر بن الخطاب الجيش بالأطباء والقضاة، فكان على إمرة القضاة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وهو أخو سلمان بن ربيعة الباهلي القائد على الخيول في الموقعة، وكان رائد الجيش وداعيته سلمان الفارسي.

وجعل كاتب الجيش زياد بن أبي سفيان، وجعل مترجم الجيش هلال الهجري وكان يُتْقِن الفارسية والعربية.

وأثناء تحرُّك سعد من "شِراف" إلى "عذيب الهجانات" أتته الوصية التي كان قد أوصى بها المثنى بن حارثة ﷺ قبل وفاته مع المعنَّى بن حارثة، وفي الرسالة: لا تقاتل الفرس إلا على

أبواب الصحراء، ولا تعبر نهرا، وضعِ الصحراء في خلفك، حتى إذا كان لك النصر انسحت في أرضهم، وإن كانت الأخرى كانت لك الصحراء مجالاً للرجوع.

وتنطلق هذه الوصية من الاستفادة من خطأ معركة الجسر، وهو عبور المسلمين النهر، فكانت المياه من خلفهم والفرس من أمامهم، واستُشْهِد في "الجسر" وحدها أربعة آلاف من المسلمين، وكان الفرس لا يجرءون على القتال في الصحراء؛ نظرا لتعدد الدروب والمسالك وكثرة المجاهل بها، وإذا ضلَّ أحد الجيوش فيها فربما يهلك من الجوع والعطش.

ومع وصول رسالة المثنى مع المعنَّى، وصلت رسالة من عمر بن الخطاب ﷺ أيضا فيها: ألاّ يقاتل الفرس إلا على أبواب الصحراء، وألا يجعل المياه في خلفه، وأن يجعل الصحراء خلف جيشه.

وكان هذا التوافق في الرأي يدل على بعد النظر وعمق التفكير، فقد استفاد المثنى بن حارثة ﷺ كثيرا من تجاربه السابقة، وعمر بن الخطاب ﷺ وهو في المدينة يرى الرأي الصائب وهو على بعد مئات الأميال من القادسية؛ لعمق فكره وحسن تخطيطه وإدارته.ﷺ

القبض على عين للفرس

ويرسل سعد طلائعه إلى "عذَيب الهجانات" قبل أن يصلها هو بالجيش، وكان بها حصن عظيم وهو أول حصون في جنوب فارس، وقد وصلت الطلائع قرب الليل ونظروا فوجدوا للحصن نوافذ كثيرة، وكل مدة يظهر أحد الرجال من إحدى نوافذ الحصن ويختفي مرة أخرى، ثم يظهر آخر في نافذة أخرى ويختفي، وهكذا.

فوقفوا رهبة، وشعروا بوجود جيش للفرس في هذا الحصن، ثم أمرهم حمال بن مالك بالهجوم على الحصن، ففوجئوا بعدم وجود أحد فيه، ووجدوا رجلاً واحداً يجري بعيداً عنهم بفرسه في اتجاه المدائن، فعلموا أنه أحد عيون الفرس، وأنه منطلق لإخبارهم بأمر المسلمين، وانطلقت خلفه الطلائع فأعجزهم ولم يستطيعوا اللحاق به، وقدمت بعد ذلك المقدمة وعليها زهرة بن الحوِيَّة، فلما علم زهرة بهذا الأمر –أَمر الرجل– قال: والله لو وصل هذا العين إلى فارس، علمت فارس بقدومنا. فأسرع ﷺ بنفسه وسابق خيول المسلمين وسبقهم،

وأدرك الرجل في خندق سابور على حدود القادسية واقتتل معه وقتله في خندق سابور، وبهذا لم تصل –حتى هذه اللحظة– أخبار المسلمين إلى فارس بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا المثال النادر من المسلمين "زهرة بن الحوِيَّة"، والذي أحسنَ سعد بن أبي وقاص باختياره قائدا على المقدمة.

وقبل أن يصل سعد إلى "عذيب الهجانات" تصله رسالة من عمر بن الخطاب ﷺ أن يعسكر في القادسية، وقال له: صِفْ لي المكان كأني أراه رأي العين، ولا تدخل على أرض العراق إلا أن يدخلوا هم عليك.

ويتقدم سعد ويصل إلى "عَذَيْب الهِجانات" ويعسكر فيها مدة، إلى أن تكتشف الطلائعَ والمقدمةُ منطقةَ القادسية وما حولها لتأمين دخول الجيش هذه المنطقة.

تختلف خطة الجيش الإسلامي في معركة القادسية عن غيرها من الخطط في المعارك الأخرى، ومن الواضح في معارك الجيش الإسلامي الكثيرة، ومواقعه المتعددة أنه يعتمد خطة الهجوم على الجيوش الفارسية في مواقعها، لكن هذه المرة يأمر عمر بن الخطاب ﷺ الجيش أن يبقى في القادسية ولا يتركها؛ لخوفه من الإعداد الضخم الذي يعِدُّه الفرس لهذه المعركة، ويحرص على عدم توغل المسلمين في الأراضي الفارسية؛ حفاظًا عليهم من الهلكة.

حل مشكلة الغذاء

كان وصول سعد" عذيب الهجانات" في منتصف صفر 15هـ، وعسكر فيها ما يقرب من شهر، وإذا نظرنا إلى العدد الكبير للجيش الإسلامي (32 ألفًا من الجنود)، نجد أنهم كانوا بحاجة دائمة إلى التموينات، وإذا أرادوا أن يأكلوا لحوما مثلاً كانت الناقة تكفي مائة جندي، ففي اليوم

يحتاج إلى 320 من الجمال، فالجيش إذن يحتاج إلى تمويل ضخم جدًّا، وعمر بن الخطاب ﷺ يمونِ الجيش من بيت مال المسلمين، لكن مهما كان حجم ما يأتي من المدينة فلا شك أنه سيكون أقل من حاجة الجيش، وهناك نقص كبير في اللحوم خاصةً، فكلما طالت مدة انتظار الفرس كلما زاد العبء على المسلمين، فبدأ المسلمون بعمل ما يسمَّى بالغارات التموينية تحفيزًا لإسراع الفرس في القدوم للحرب، وفي الوقت نفسه يتمُّ تموين الجيش من خلال هذه الغارات.

أمر سعد الطلائع والمقدمة بعمل هذه الغارات، وأرسل زهرة بن الحوِيَّة –وهو في "عذيب الهجانات"– فرقة من طلائعه إلى مكان يُسمَّى صِنِّين (وهي على بعد 10 إلى 15 كم من الحيرة)، وعلى رأس الفرقة التي لا تتعدى الثلاثين فارسا بكير بن عبد الله، وتصل الفرقة إلى "صنين" فيسمعون أصوات عِرسٍ لأحد أمراء فارس، ولا شك أن في العرس هدايا ثمينة يهديها الأمراء بعضهم لبعض في هذه المناسبات إلى جانب الماشية والأغنام والإبل وغير ذلك، وينتظر بشير بن عبد الله في وسط الغابات التي كانت منتشرة في تلك المنطقة،

وعند مرور العرس ووصول الحامية التي ترافق العرس فهو عرس أميري؛ هجمت الفرقة عليهم ففروا في كل وجهة وتركوا العرس بما فيه، وسبى المسلمون العروس والتوابع، وأخذوا الغنائم وعادوا بها، وقبل أن يَصِلُوا كبَّروا، فقال سعد ﷺ لجنوده: أقسم أن هذه تكبيرة قومٍ عرفت فيهم العز.

فكانت هذه أول الغارات التموينية للمسلمين، وكان فيها إهانة كبيرة لأحد أمراء فارس في زواجه، وبدأ أهل تلك المنطقة يراسلون يزدجرد في المدائن ويخبروه أن جيوش المسلمين على مقربة.

ثم أرسل زهرةَ بن الحوِيَّة عاصم بن عمرو التميمي -وكان قائدًا للمؤخرة- نظرا لشجاعته إلى منطقة "ميسان" شرق الفرات، ووجدوا مجموعة كبيرة من الفلاحين ولكن دون أن يكون معهم أغنام، فتعجبوا من هذا الأمر وهو عدم وجود إبل وماشية في هذه المنطقة الزراعية، فقام أحد الفلاحين وقال: والله ما في هذا المكان من إبل ولا ماشية قَطّ. فخار ثور ساعتها يكذب الراعي،

وذهب المسلمون إلى مصدر الصوت في وسط الغابات الكثيفة، فوجدوا كميات ضخمة من المواشي، وساقوها للجيش، وسُمِّي هذا اليوم بيوم الأباقر من كثرة ما أخذوا فيه من البقر، وكان في هذا تموين للجيش فترة كبيرة.

أرسل الأمراء على الفور إلى يزدجرد، وبدأ الفرس يتأثرون ويتحمسون لوقف المسلمين عن شن هذه الغارات التي تقلقهم كثيرا.

في هذا التوقيت أرسل عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن علم بهذه الأحداث –الغارات التموينية– وبعد أن خشي من اندفاع المسلمين لقتال الفرس في أراضيهم، فقال: "الصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الجهد، والحذر الحذر على ما أنت عليه، وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافيةَ، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وخَفِ الله وارجه، ولا تغترَّ بشيء. واعلم أن الله قد وعدكم، وتوكّل لهذا الأمر، فاحذر أن تصرفه عنك فيستبدل بكم غيركم، وصف لي مساكنكم كأني أراها، واجعلني من أمركم على الجلية."

ويرسل سعد بن أبي وقاص رسالة إلى عمر بن الخطاب يصف له القادسية يقول:

"القادسية مكان بين نهر العتيق وخندق سابور". القادسية هي مكان يقع في الجنوب الغربي للحيرة على أبواب الصحراء، ونهر العتيق هو أحد روافد نهر الفرات يخرج منه متجها إلى الغرب، وخندق سابور يقع جنوبي منطقة القادسية، وهو خندق قديم للفرس يحاصر معظم غرب العراق، وفيه بعض الأماكن التي يمكن العبور منها، لكن على كلٍّ منها حصنٌ عظيم لمنع عبور أي مجموعة، وأمام القنطرة الرئيسية للخندق يقع حصن يسمى "قديس."

يقول سعد:

"وعن يمين منطقة القادسية فيض من فيوضهم (أي بحيرة تصل من نهر العتيق وحتى خندق سابور)، وفي شمال القادسية بحر أخضر" أي مستنقع به ماء وشجر كثير.

وعندما وصلت الرسالة إلى عمر ﷺ قال له: "الزم مكانك."

ثم يقول له: "إذا منحك الله أكتافهم، فلا تتركهم حتى تغزو المدائن فإن في ذلك خرابها، والوفاء الوفاء، فإن الخطأ في الغدر هلكة (أي يوصيه بالوفاء لأهل القرى التي ما زالت على صلحها مع المسلمين) وفيه (أي الغدر) وهنكم وقوة عدوكم، واحذروا أن تكونوا شيناً على المسلمين."

بعد أن سيطرت الطلائع والمقدمة على حصن "قديس"، كان الجيش الإسلامي ما زال في مكانه لم يعبر خندق سابور بعد، وإن كان في نيته العبور.

حال البلاط الفارسي في ذلك الوقت

كان أمراء الفرس يضجون كثيرا، ويرفعون الشكاوى إلى يزدجرد الثالث كسرى فارس مما يفعله المسلمون في الجنوب، فأرسل إلى رستم –أعظم قائد فارسي على مر التاريخ– وقال له: أتعلم مثل العرب ومثلنا كمثل ماذا؟

فيقول له: مثل ماذا؟

فيقول يزدجرد: مثلنا ومثلهم كمثل عُقاب (طائر ضخم) نزل على وادٍ، وفي هذا الوادي طيور صغيرة كثيرة، وفي كل لحظة ينزل فيخطف طائرا ويعود، ثم ينزل فيخطف طائرا ويعود،

فأرى أنه لو قامت هذه الطيور كلها مرةَ واحدة فرَّ منها هذا العقاب، وإن حدثت هلكة فهي لطائر واحد.

وفهم رستم من كلامه أنه يريد أن يخرِج كل طاقة فارس لحرب المسلمين، ثم قالها له: إني أرى أن تخرج طاقة فارس في جيش واحد لملاقاة المسلمين، وتخرج أنت على رأس الجيش.

وغضب رستم من ذلك لا لجبنٍ منه فقد كان قائداً شجاعا، لكنه كان يرى أن هذا ليس رأيا صائبا –وقد شهد له المؤرخون بذلك– فقال رستم: الرأي رأيك، لكني أرى أن نرسل لهم قوة ثم قوة، فإن لاقتهم الفرقة الأولى وهزموا كان لنا بقية، ثم استبقني هنا فطالما أنا هنا فالعرب على خوف منا.

وتجادلا وأصرَّ كسرى على رأيه، وأطاعه رستم وخرج على رأس الجيش، بعد أن جمع للمسلمين جيشًا ضخما كان قوامه 120 ألف مقاتل و120 ألف تابع، أي مائتين وأربعين ألفًا من الجنود الفارسيين، وهذا أكبر جيش يخرج من فارس على مرِ العصور، وتحت إمرة رجل واحد فقط، وفيه مائة وعشرون ألفًا يقاتلون، ومائة وعشرون ألفًا أخرى يخدمون المقاتلين، ويمكن أن يشتركوا في القتال عند الحاجة إليهم، فهم بمنزلة مؤخرة الجيش.

وفي هذا الجيش 60 ألفًا من الفرسان، و60 ألفًا من المشاة، و33 فيلاً، وكان للفيل الواحد وزنه في الجيش الفارسي، فما بالنا بـ 33 من الأفيال؟! ومن بينهم الفيل الأبيض قائد الأفيال، وهو الذي قتل أبا عبيد بن مسعود الثقفي في معركة الجسر، إذن فقوة فارس كلها خرجت لحرب المسلمين.

وتعلم المخابرات الإسلامية أن رستم على رأس الجيش، فيرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب أن الفرس يعُدُّون لنا جيشًا لم نسمع عنه من قبل، على رأسه رستم ومن شابهه.

وقد كان على رأس مقدمة جيش فارس "جالينوس" وهو أحد القادة الكبار، وكان قوام المقدمة 40 ألفًا، أي أن مقدمة الفرس وحدها تزيد على كل الجيش المسلم بثمانية آلاف، ومن بين القواد أيضا بهمن جاذويه الذي انتصر على المسلمين في الموقعة الوحيدة التي انتصر فيها الفُرس (الجسر)

وردَّ عليه عمر بن الخطاب قائلاً له: "لا يفْرِيَنَّك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتَوكّل عليه". ثم يقول له: "وابعث إليهم رجالاً من أهل الرأي يدعونهم إلى الإسلام؛ فإن في ذلك وهنًا لهم."

وفد المسلمين إلى كسرى يزدجرد:

ونرى في هذا الموقف حرص عمر بن الخطاب على الدعوة إلى الإسلام حتى في هذه الظروف، وإضافة إلى تبليغهم دعوة الإسلام تَرهب نفوسهم من جرأة المسلمين عليهم، وبدأ سعد ﷺ في انتقاء الوفد الذي يقابل "يزدجرد الثالث" كسرى فارس، ومرَّ على الجيش كله، وانتقى 14 رجلاً؛ سبعة من أهل الرأي وسبعة من أهل المهابة. يقول الرواة: إن الأربعة عشر رجلاً كانوا جميعا أصحاب هيئة وجسامة، وكانوا جميعا يزيدون في طولهم على المترين، وعلى رأسهم النعمان بن مقَرِن الصحابي الجليل ﷺ الذي أسلم في العام الخامس الهجري، وأول مشاهده غزوة الأحزاب، وأسلم هو وإخوته جميعا –عشرة إخوة– وشاركوا في فتح فارس، وكان عبد الله بن مسعود يقول: إن للنفاق بيوتاً، وإن للإيمان بيوتاً، وإن بيت بني مقَرِن لمن بيوت الإيمان، وفيهم نزل قول الله تعالى: {وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 99].

فكان النعمان على رأس هذا الوفد، وكان رجلاً ذا مقالة، ومعه بسر بن أبي رهم وقد مر ذكره في فتوح فارس، ونذكر كمين "الولجة" حيث كان على رأس الكمين. ومن الوفد حنظلة بن الربيع وكان من خطباء الجاهلية والإسلام، وسمي حنظلة الكاتب. وفرات بن حيان وكان أكثر العرب خبرة بالطرق، وكان قد أسلم في العام الثاني للهجرة. ومع الوفد أيضا المغيرة بن زرارة أحد صحابة النبي ، ومن أصحاب

المقالة أيضا في الجاهلية والإسلام. وعدي بن سهيل وهذا الاسم غير معروف، ويبدو أنه سهيل بن عدي، ولعله نُقِل خطأً.

ومن ا لوفد أيضا حملة بن جويَّة. وكان على رأس أهل المهابة والقوة في الجسد عاصم بن عمرو التميمي أخوالقعقاع بن عمرو التميمي ، والمعنَّى بن حارثة أخو المثنَّى رضي الله عنهما، وعطارد بن حاجب وهذا الرجل هو الوحيد الذي دخل قبل ذلك إيوان كسرى،

ولا شك أنه -في الطريق ومع الوفد الذي لم يدخل إيوان كسرى قبل ذلك- سيذكر لهم وصفًا دقيقًا لكرسي كسرى وتاجه وسريره وما يمتلئ به إيوانه من ذهب وفضة وزخارف؛ حتى لا ينبهر الوفد بما لم يره أو يسمع عنه من قبل، فيكون لذلك نتائجه السلبية، فاختياره له هدف.

وعمرو بن معد يكرب وكان من أشهر فرسان العرب، وكان قد فقد إحدى عينيه في سبيل الله، وكان عمر بن الخطاب يسأل: أي سيوف العرب أمضى؟ قالوا: صمصامة. وهي صفة من صفات سيف عمرو بن معديكرب؛ فأرسل له: أن أرسل لي سيفك. فأرسله له، فأمسك به عمر بن الخطاب وضرب به فوجده على غير ما كان يتوقع من القوة والمتانة، فأرسل إليه: والله كنا نظن سيفك على أحسن من هذا. فقال له: والله يا أمير المؤمنين لقد أرسلت إليك بالسيف، ولم أرسل إليك بالساعد الذي يضرب بالسيف.

ومن الوفد أيضا المغيرة بن شعبة الحارس الشخصي للرسول ، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسان أشهر فارس في قبيلة كندة. واختير لهم أفضل أربعة عشر من الخيول، ولبسوا أفضل اللباس، وخرجوا جميعا لمقابلة يزدجرد ودعوته إلى الإسلام، وعلم الفرس بقدومهم، فخرج الشعب الفارسي ليشاهد هؤلاء العرب الذي كانوا يعتقدون أنهم أعراب أجلاف ليس لهم في الحرب شيء.

تقول إحدى النساء اللائي أسلمن بعد ذلك: فوقفنا ننظر إليهم، والله ما رأينا أربعة عشر مثلهم قَطُّ يعادَلون بألف، وإن خيولهم لتنفث غضباً وتضرب في الأرض، ووقعت في قلوبنا المهابة وتشاءمنا. وأرسل يزدجرد إلى أهل الرأي يستشيرهم في مقابلة الرسل المسلمين أم لا، فأشاروا عليه أن يقابلهم، فأمر يزدجرد بدخول الوفد عليه والحديث معه.

فماذا سيدور في هذا الحوار العجيب بين يزدجرد والوفد المسلم؟

أحداث المعركة

اليوم الأول في معركة القادسية

هذا اليوم فرق الله ا به بين الحق والباطل؛ يوم القادسية يوم كيوم بدر، وكيوم خيبر، وكيوم اليرموك، إذا كانت هناك أيام تغير من التاريخ، فيوم القادسية من هذه الأيام.

بعد موقعة القادسية اختلفت خريطة الأرض، واختلفت التوقعات بالنسبة لنتائج الحروب، واختلفت كل الموازين في الأرض بعد هذه المعركة الفاصلة بين المسلمين والفُرس، وإذا كان هناك رجال يغيرون التاريخ، فرجال القادسية هؤلاء الرجال بمن فيهم أمير الجيوش، وبمن فيهم أصغر جندي لا نعرف اسمه، ولا نعرف نسبه.

هذا اليوم يقاس في التاريخ بيوم بدر، وكان الجيش الإسلامي في القادسية يتضمن سبعين رجلاً أو أكثر من رجال بدر، وهذا أعطى للقادسية أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي.

وقف الجيشان أمام بعضهما البعض، وفي لحظة عبور الجيش الفارسي كان الوقت قد مضى من أول النهار، وشاء الله في هذا اليوم واليوم الذي قبله أن يمرض سعد بن أبي وقاص، فقد أصيب بدمامل في ظهره، وأُصِيبَ بعِرْق النَّسَا؛ فكان لا يستطيع أن يمشي، ولا يستطيع

الجلوس، فلم يكن يستطيع أن يمتطي حصانه، فاتخذ قصر "قديس" مكانًا للقيادة وصعد إلى أعلى القصر، ولم يستطع الجلوس؛ فنام على صدره على قمة القصر ووضع وسادة تحته، وبدأ بإدارة المعركة من فوق القصر، واستخلف على الجيوش خالد بن عرفطة الذي كان من قواد المسلمين المهرة، فيقوم خالد بن عرفطة بقيادة الجيوش ويدير سيدنا سعد بن أبي وقاص المعركة من فوق القصر متابعا خالد بن عرفطة بالرسائل التي يرسلها إليه، فينفذها الجيش عن طريق خالد، واعترض بعض الناس على إمارة سيدنا خالد بن عرفطة، فما كان من سيدنا سعد بن أبي وقاص إلا أن قام بالقبض على هؤلاء المشاغبين، وكان يتزعمهم أبو محجن الثقفي،

وهو من أشد مقاتلي العرب ضراوة وكان يجيد الشعر الجهادي، وكان المسلمون يعوِلون عليه كثيرا؛ فقد كان له دور كبير، لكنَّ سيدنا سعد بن أبي وقاص لم يكن يتهاون في مثل هذه الأمور، وكانت الحرب الإسلامية حربا تربوية، فتعمَّد سيدنا سعد بن أبي وقاص حبس هذه المجموعة في قصر "قديس"، ومنعها من الاشتراك في القتال بسبب اعتراضها، وفي ذلك درس تربوي مهم رغم قلة عدد المسلمين، ورغم كون المسلمين محتاجين إلى كل جهد بشري، ولكنها الحرب التربوية كما ذكرنا من قبل.

وأرسل سيدنا سعد بن أبي وقاص بيانا إلى المسلمين عن طريق سيدنا خالد بن عرفطة يقول فيه: أما والله لولا أن عدوَّكم بحضرتكم لجعلتكم نكالاً لغيركم. فقام جرير بن عبد الله وقال: أما إني –والله– بايعت رسول الله على أن أطيع أميري، ولو كان عبدا حبشيًّا.

فجاء هذا الكلام ليؤيد سيدنا سعد بن أبي وقاص في قراره في حبس هذه المجموعة، ثم قال سعد: والله لا يعود أحدٌ بعدها يشغل المسلمين عن عدوهم إلا سننت فيه سنة تؤخذ من بعدي. ولم يوضح العقاب؛ وذلك لإثارة الرعب في قلوب المشاغبين ومن يعصي الأمير في مثل هذا الموقف،

ثم كتب سيدنا سعد بن أبي وقاص خطبة ووزعها على الرسل؛ لتصل إلى كل الجيش وذلك يوم القادسية، يقول فيها سيدنا سعد بن أبي وقاص: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونثني عليه الخير كله. إن الله هو الحق لا شريك له في الملك، وليس لقوله خلْف، قال جلَّ ثناؤه} :ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] {الأنبياء: 105 ,[إن هذا ميراثكم وموعود ربكم، وقد أباحاها الله لكم منذ ثلاث حجج؛ فأنتم تطعمون منها، وتأكلون منها، وتجبونها، وتقتلون أهلها، وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعِزٌّ من وراءكم. فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرِب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تهنوا تفشلوا وتضعفوا تذهب ريحكم، وتوبقوا آخرتكم."

هذه خطبة سيدنا سعد بن أبي وقاص في القادسية، والمتأمل في الخطبة يجد أنها تنقسم إلى أربعة مقاطع: أول هذه المقاطع يذكر للمسلمين أن النصر وارد في حقهم من خلال الأدلة النقلية التي ذكرت في الكتاب والسنة، فيذكر لهم} ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] {الأنبياء: 105 .[

فهذه حقيقة قررها الله في كتابه؛ فيطمئن المسلمين أن الله سيورثهم هذه الأرض إن كانوا صالحين، ولا بد لأهل الإيمان أن يصدقوا هذه الحقيقة. ثم يذكر لهم الأدلة العقلية، فيقول لهم: وقد أباحاها الله لكم منذ ثلاث حجج وأنتم آكلون من هذه الأرض، وتقتلون أهله، وتأسرونهم، وتنتصرون عليهم منذ ثلاث سنين، وتفعلون ذلك بما فعل أصحاب الأيام منكم. وبعد ذلك يثني سيدنا سعد بن أبي وقاص على جمع المسلمين فيقول: "وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب، وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعِزٌّ من وراءكم". فشكر هذه الطائفة ولم يبالغ في الثناء، فهذه الطائفة أفضل طوائف العرب، وأفضل المقاتلين في العرب جمعوا في القادسية، فيعطيهم هذا القدر وتلك القيمة، فيشعر الناس بعزتهم وبقوتهم مما يدفعهم للقاء عدوهم غير مجبونين، ولا خائفين من الفرس. ثم يضع يده على مفتاح النصر: "فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تهنوا تفشلوا وتضعفوا وتذهب ريحكم، وتوبقوا آخرتكم."

وهذه الكلمات ذكرها سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ لسيدنا خالد بن الوليد في أول فتوحات فارس في وصية قصيرة كانت عبارة عن هذه الجملة: "إنْ تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، وإن تُؤْثِروا أمرَ الدنيا على الآخرةِ تُسلَبوهما"؛ فهم سيدنا سعد بن أبي وقاص هذا المعنى وأراد توصيله إلى الجيش، فحمَّستّ هذه الخطبةُ الناس، وتحفزوا للقاء الفرس. ثم قام عاصم بن عمرو في المجردة، فقال: هذه بلاد قد أحلَّ الله لكم أهلها، وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلون والله معكم إن صبرتم، وصدقتموهم الضرب والطعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم، ولئن خَرتم وفشلتم –والله لكم من ذلك جار وحافظ– لم يبقِ هذا الجمع منكم باقية، الله الله، اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها، اجعلوا همَّكم الآخرة، يا معاشر العرب إنكم تخاطرون بالجنة وهم يخاطرون بالدنيا، فلا يكونَنَّ على دنياهم أحوطَ منكم على آخرتكم، لا تُحْدِثوا أمراً تكونون به شَيْناً على العرب.

ثم أرسل سيدنا سعد بن أبي وقاص إلى كل من له كلمة، وكل من له خطابة في المسلمين حتى يخطب في الجيش ويحفز الناس؛ فقام قيس بن هبيرة فقال: أيها الناس، احمدوا الله على ما هداكم يزدْكم، واذكروا آلاء الله فإنَّ الجنة أو الغنيمة أمامكم. ثم يعرِض للمسلمين بشيء محبَّبِ إلى النفوس، فيقول لهم: وإنه ليس وراء هذا القصر –ويقصد قصر قُديس– إلا العراء، والأرض القَفْر، والظِّراب الخشن (أي التلال الصغيرة)، والفلوات التي لا يقطعها الأدلة (يريد أنكم تاركون هذه الصحراء إلى جنات فارس الخضراء). ثم يقوم غالب بن عبد الله فيقول: أيها الناس، احمدوا الله على ما أبلاكم، وسَلُوه يزدْكم، وادعوه يجِبْكُم، يا معاشرَ العرب ما علتكم اليوم وأنتم في حصونكم (أي على خيولكم)، ومعكم من لا يعصيكم (أي السيوف)؟ اذكروا حديث الناس في الغد؛ فغداً يبدأ بكم ويثنَّى بمن بعدكم. ثم يقوم ابن الهذيل في القادسية، فيقول: يا معاشر العرب، اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليها كالأسود، وتَربَّدوا تربُّد النمور، وثِقوا بالله، وإن كلت السيوف فأرسلوا عليهم الجنادل (أي الحجارة)؛ فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذَن للحديد فيه (وفي فلسطين أُذِنَ للحجارة فيما لم يؤذن فيه للحديد).

ثم قام ربعي بن عامر فقال: أيها المسلمون، إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة فاشكروه يزِدْكم، واعلموا أن في الصبر الراحة؛ فَعوِدوا أنفسكم على الصبر تعتادوه، ولا تعودوها على الجزع فتعتادوه. فحمِي المسلمون، وقَوِيت شوكتهم، وتحفزوا للقتال.

تأجيج الحماس في قلوب المسلمين:

هذه بدايات الجيش الإسلامي التي جعلته يدخل المعركة بروح عالية، بينما كان الجيش الفارسي لا يريد دخول المعركة، وقد ملأ الشعور الهزيمة قلب رستم، وقد رأى رؤيين أن النبي يأخذ سلاحه، ويختم عليه، ويعطيه لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، ثم يعطيه لسعد؛ فدخل المعركة

بهذا الشعور الانهزامي، على النقيض من الجيش الإسلامي الذي كان يتمتع بالروح العالية، ثم يرسل سيدنا سعد بن أبي وقاص بيانًا إلى الناس، وذلك قبل صلاة الظهر؛ لِيُقْرَأَ على كل الكتائب، يقول لهم فيه: "الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئًا حتى تُصلُّوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإني مُكبر تكبيرة، فإذا كبرت فكبروا، ثم شدوا شُسوعَ نعالِكُم، واعلموا أن التكبير لم يعطَه أحدٌ من قبلكم، وإنما أُعْطِي لكم لتأييدكم."

فالله أكبرَ من الفُرّسِ ومن الروم! الله أكبرَ من كل أهل الأرض إذا كانوا يحاربون الله ورسله، ويحاربون من ساند دين الله .ا فهذه الكلمة كانت علامةَ البدء وكلمة السر عند المسلمين، وذكرهم سيدنا سعد بأن هذه الكلمة هديةٌ من الله لهم، فعليهم أن يقدروا قيمتها، فإذا كبرت التكبيرة الثانية فكبروا وتهيئوا ولتستتموا عدتكم؛ فإذا كبرت الثالثة فكبروا، وليخرج فرسانكم وليخرج أهل النجدة والبلاء، ولْيُنشّطْ فرسانُكم الناسَ على القتال؛ ليبارزوا ويطاردوا (وما زال الجيش واقفاً ولم يلتحم بعدَ مع الجيش الفارسي، ولم يخرج غير كتيبة الفرسان للقتال)، فإذا كبرت الرابعة فشدوا النواجذ على الأضراس، واحملوا وازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله". وقد استعان بها المسلمون على فتح حصون الفرس، واستعانوا بها على فتح حصن الأنبار، واستعان بها محمد الفاتح في فتح القسطنطينية، وقد قال لجيشه: "قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله يفتحِ الله لكم."

وبالفعل فُتِحَت الحصونُ بهذه الكلمة، فيوصيهم سيدنا سعد بن أبي وقاص بقول لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا هو بيان خطة المعركة، ألقاه سيدنا سعد للجيش من فوق قصر "قديس" عن طريق سيدنا خالد بن عرفطة، ثم يحين موعد صلاة الظهر فيؤذَّن لصلاة الظهر، وظنه رستم نداء الحرب فتحرك نحو المسلمين، وما إن سمع المسلمون إقامة الصلاة حتى اصطفوا لها، فنادى رستم على جيشه بأن يأخذوا أُهبتَهم ويستعدوا للقاء المسلمين؛ فتقول له العيون: إنما هذا للصلاة وليس للحرب.

فيتعجب رستم ويقول: عجيب أمر هؤلاء الناس، حتى وهم في ميدان المعركة حريصون على الصلاة. ثم تقَام الصلاة ويؤمُّ المسلمين سيدنا خالد بن عرفطة، ويصلي بهم صلاة الحرب (وإحدى كيفياتها: أن يصلي الإمام ببعض أصحابه ركعتين، ثم يسلموا ثم يتأخروا، ويقوموا للحراسة، ويأتي الآخرون "باقي الجيش" فيكونون في مقامهم فيصلي بهم ركعتين، ثم يسلم؛ فيكون الإمام قد صلى أربع ركعات، وللقوم ركعتان ركعتان، ولها كيفيات أخرى)، ومشروعية هذه الصلاة في الحرب حتى لا يقوم المسلمون بالصلاة كلهم؛ فيأتيهم العدو من خلفهم فيهجموا عليهم.

وأتمَّ المسلمون الصلاة، وألقى الله الرُّعب والرهبة في قلوب الفرس، وكما تعجب رستم نتعجب نحن أيضا؛ كيف أن المسلمين أقاموا الصلاة في أول وقتها في هذا الموقف الجلل، والجوِ المشحونِ بالخطورة؟! وهذا هو مفتاح النصر الذي ذكره سيدنا سعد بن أبي وقاص في البداية: "إن ترغبوا في الآخرة، وتزهدوا في الدنيا تُعطَوا الدنيا والآخرة". وهذا ما كان يمتلكه المسلمون في هذا الوقت، ثم يأمر سيدنا سعد بن أبي وقاص القُرَّاء بالانتشار في الكتائب، وقراءة سورة الجهاد (الأنفال)، فيفعلون. ونذكر منها هنا بعض الآيات؛ لنعيش في الموقف الذي عاش فيه المسلمون في القادسية..

وقُرِئَت سورةُ الأنفال كاملةً، وكان المسلمون يتعلمونها في الجهاد، وهَشَّت القلوبَ، وانهمرت الدموع من العيون، وتذكر البدريون من صحابة رسول الله موقعة بدر، وتذكروا كيف أنزل الله ملائكته عليهم، وكانت عدتهم قليلة، وكان الكفار أكثر منهم، وأنزل الله عليهم الملائكة، وشاهدوا أعناق الكفار وهي تطير حتى قبل أن تصل إليها السيوف، وعندما سألوا النبي عن ذلك، قال لهم: إنها الملائكة.

وتذكروا المطر الذي نزل فثبَّت الأقدام، وزلزل الأرض من تحت أقدام المشركين، تذكروا الانتصار الذي امتنَّ الله به على المسلمين في موقعة بدر على أهل الكفر رغم أن كل التوقعات كانت تؤيد انتصار الكفر، وفي القادسية يتكرر الموقف نفسه فيتذكر المسلمون هذه المعركة، ويتذكرون النبي فتنهمر الدموعُ من أعينهم، ويُخَضِّب الدمعُ لحاهم فيتأثر كل من

في أرض القادسية بهذا الموقف، ويتشوقوا إلى لقاء الفُرس؛ ليتحقق لهم ما تمنَّوه، وما وعِدُوا به من إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

بدء القتال:

بعد قراءة سورة الأنفال شعر سيدنا سعد بارتفاع الروح المعنوية لدى المسلمين، وأنهم على أُهْبَة الاستعداد وأتمِّه للقاء الفرس؛ فصاح رافعا صوته قائلاً: الله أكبر! فكبر من ورائه المسلمون جميعا، وكان عددهم اثنين وثلاثين ألفًا، فأوقعت هذه الصيحة الرعب والفزع في قلوب أهل فارس، وتحفز المسلمون للقتال ولكنهم كانوا ينتظرون التكبيرات الأربع،

ثم يكبر سيدنا سعد بن أبي وقاص التكبيرة الثانية فتصطف الصفوف، وترفَع السيوف من الأغماد، ويستعد الناس للقتال، ثم يكبر سيدنا سعد التكبيرة الثالثة فتخرج كتيبة الفرسان أفضل مجاهدي المسلمين من ناحية القتال المهاري على أشد الخيول ضراوة إلى ساحة القتال يطلبون المبارزة؛ ليحفزوا المسلمين وينشطوهم، وكان من أوائل من خرجوا من فرسان المسلمين للقتال ربيعة بن عثمان، وغالب بن عبد الله، وعمرو بن معديكرب، وعاصم بن عمرو التميمي، وكان أول قتال نشب بين ربيعة بن عثمان من قبيلة هوازن وأحد أشداء الفرس، وكان قتالاً شديداً، وتقاتلا مدة كبيرة، وأَذِن اللهُ لربيعة بن عثمان بقتل الفارسي بعد قتال عنيف، وكان أول قتيل من الفرس في أرض القادسية فكبر المسلمون،

وربط الله على قلوب المسلمين، وألقى الله الرعب في قلوب الفرس، وهبت ريح النصر على المسلمين..

وتقدم سيدنا غالب بن عبد الله صحابي رسول الله ليقاتل فخرج له هرمز (وهو غير هرمز المقتول بسيف سيدنا خالد بن الوليد في موقعة ذات السلاسل)، وكان ملك منطقة الباب في فارس بجوار بحر قزوين، فتقاتلا قتالاً شديداً،

وأتم الله النعمة على سيدنا غالب بقتل هرمز في أرض المعركة وبسلبه تاجه، فانهارت معنويات الفرس، وخُلِعَت قلوبهم من الرعب، وارتفعت معنويات المسلمين، وكبر المسلمون بعد قتل هرمز ملك منطقة الباب، وقام عمرو بن معديكرب يتمشى بين الصفوف، وكان يحمل أقوى سيوف العرب وهو سيف الصمصامة (صورة للسيف إن أمكن)، وكان رجلاً ضخم الجثة قوي البنيان، وكان من المهرة في القتال، وكان يحفز الناس قائلاً لهم: قاتلوهم كما تقاتل الأسود، فأنتم اليوم أقوى من الأسود. فتقدم إليه رجل من الفرس ورماه برمح فوقع على درعه وسقط على الأرض، وكانت رماح الفرس من طولها يسمونها نشابا، وتوجه سيدنا عمرو بن معديكرب نحو الفارسي وحمل عليه حملة واحدة فخطفه من فوق فرسه، ورجع به إلى المسلمين، وألقاه على الأرض، وضرب رأسه بسيفه؛ فقطعها بضربة واحدة ثم أخذ رأسه وألقاها ناحية فارس، وأخذ سواريه ومنطقته، وحمل سيدنا عاصم بن عمرو رابع الفرسان الذين تقدموا على رجل من أهل فارس، فترك هذا الرجل فرسه وهرب إلى الجيش الفارسي؛ ليحتمي بهم فأخذ

سيدنا عاصم فرسه وعاد به غنيمة إلى المسلمين، وكتب الله النصر للفرسان الذين تقدموا من المسلمين، مما ثبت الله المسلمين وربط على قلوبهم، وألقى الله بذلك الرعب والوهن في قلوب الفرس.

القلوب بين أصابع الرحمن:

بعد هذه الانتصارات التي حققها المسلمون، وبعد الرعب الذي وقع في قلوب أهل فارس يحدث حدث غريب لم يحدث من قبل، ولم يحدث بعد ذلك في الحروب الفارسية، وتناقله الرواة في رواياتهم لحروب فارس، وكان حادثاً مؤسفاً وهو أن أحد المسلمين في الجيش الإسلامي ارتدَّ وانتقل من معسكر الإيمان إلى معسكر الكفر والوثنية، وليس بينه وبين الشهادة إلا مسافة غير بعيدة، ولكنه ارتد رافعا يده مستسلما للفرس.

ويحكي الرفيل (وكان أحد الفرس الذين أسلموا وأخفوا إسلامهم وبقي في جيش الفرس عينا للمسلمين) أن هذا الرجل جاء إلى الفرس، وأعلن ارتداده وانضمامه إلى صفوف الفرس وترك جيش المسلمين، وكانت هي الحادثة الوحيدة التي حدثت طيلة الحروب الفارسية، وسأله الفرس: أي العرب أشد؟ فقال لهم: إن بأسهم في بجيلة؛ فإذا انتصرتم عليها وهنت لكم قوة العرب. فلما وصل هذا الكلام إلى رستم أصدر أمرا بتقدم الميمنة والمقدمة نحو بجيلة، فيتوجه الهرمزان على رأس ثمانية وعشرين ألف مقاتل، والجاليذوس على رأس أربعة وعشرين ألفاً، وكان مجموع الفرقتين اثنين وخمسين ألف مقاتل، وتتوجه هذه القوة إلى قبيلة بجيلة، وإلى هذه اللحظة لم يطلق سيدنا سعد بن أبي وقاص التكبيرة الرابعة، وما إن توجهت هذه الأعداد إلى قبيلة بجيلة حتى أمطروهم بوابل من السهام، فاتّقى المسد لمون السهام، وتقدمت الفيلة نحو بجيلة فنفرت الخيل من أمام الفيلة، وبدأ الفرسان يدفعون بالمشاة ليتقدموا ويدفعوا عن الخيول، وكان هذا الموقف من أشد المواقف صعوبة على المسلمين، وقاتل المسلمون بصعوبة شديدة، وثبت المشاة من المسلمين ولم تثبت الخيول، وبدأت الكفة ترجح في جانب الفرس.

حِنْكَةُ سعد بن أبي وقاص فى بداية المعركة

من فوق قصر (قُدَيس) رأى سيدنا سعد بن أبي وقاص بنظرته الحربية أنه لو أطلق التكبيرة الرابعة لهجمت الفرق الإسلامية على فرقة الجالينوس وفرقة الهرمزان، مما يعطي الفرصة لبقية فرق الفرس المنتظرة دو ن قتال بقيادة مهران والبيرزان وبهمن للالتفاف حول الجيش الإسلامي ومقاتلته من الخلف، فخشي سيدنا سعد من إطلاق التكبيرة الرابعة إلا بعد اشتراك هذه الفرق في القتال حتى تواجههم الفرق الإسلامية وجها لوجه، ولا تلتف خلف الجيش الإسلامي.



فيصبر سيدنا سعد بن أبي وقاص حتى يرى ما تنتجه الأحداث، وتثبت بجيلة ولكن الأمر في غاية الصعوبة، فأعداد الفرس ضخمة وهجوم الأفيال شديد جدًّا، وقد ألقى الفرس تحت أرجل خيول المسلمين حسك الحديد (قطعا تشبه الخوازيق)، فكان هذا الموقف من أشد المواقف على المسلمين.

بسالة أسد وكندة:

وفي الوقت نفسه أرسل سيدنا سعد بن أبي وقاص رسالة إلى قبيلة أسد أن أغيثوا بجيلة وهي على يمين بجيلة مباشرة، وقبل أن تتحرك قبيلة أسد لنجدة بجيلة، كانت الفرق الفارسية قد توجهت إلى عمق قطاع بجيلة وفي قطاع كندة أيضا على يسار بجيلة، وعانت القبيلتان من

السهام والسيوف الفارسية، ولما وصلت الرسالة إلى قبيلة بني أسد قام طليحة بن خويلد الأسدي وخطب في الناس، وقال لهم: لو يعلم سعد قوما أجدر منكم على إغاثتهم لاستغاثهم؛ وإنما سميتم أسدا لتفعلوا فعله، فقاتلوا كما تقاتل الأسود.

وكانت لهذه الكلمة أثر السحر في نفوس قبيلة أسد، فقامت وهجمت على فرقة الجالينوس لتذب عن بجيلة الرماح والسهام والسيوف الفارسية، وألقى الله في قلوبهم الثبات، وقاتلت قبيلة "أسد" أشد ما يكون القتال مما جعل العجب يدخل إلى نفوس أهل المعركة، وبعد هذه الهجمة من قبيلة بني أسد وجد الهرمزان والجالينوس أن الهجوم يأتي من ناحية قبيلة أسد، فوجهوا القتال ناحيتها، وفي أثناء القتال قام الأشعث بن قيس في قبيلة كِنْدَة التي كانت على ميسرة الجيش الإسلامي، وكان الأشعث في الوفد الذي ذهب إلى يزدجرد، وكان قد ارتدَّ من قبل، وزوَّجه سيدنا أبو بكر الصديق أخته أم فروة بعد أن اطمأنَّ إلى إسلامه، فقال لهم: يا معشر كندة، لله درُّ بني أسد أي فري يفرون! (أي ما أشد قتالهم!) منذ اليوم أغنى كل قوم ما يليهم، وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس. فتحمست كندة، وخرج له أهل النجدة، وتحولت قبيلة كندة من الدفاع إلى الهجوم ضد القوات الفارسية لِتَذُبَّ عن قبيلة بجيلة وقبيلة أسد، والتفت القبائل الثلاثة حول الفرقتين الفرسيتين بقيادة الهرمزان والجالينوس،

ولضيق المكان لم يتمكن الجيش الفارسي من الالتفاف حول الجيش الإسلامي، وكانت مشكلة الجيش الفارسي أن صفوفه كانت متكدسة في الطول، وعرضهم كان موازيا لعرض المسلمين، ودارت رحى المعركة

على قبيلة بجيلة وأسد، وقبيلة كندة التي كانت تحاول مساعدة المسلمين، ولما رأى رستم ما حلَّ بجيشه أمر بهمن جاذويه قائد القلب أن يترك مكانه ويتقدم ناحية قبيلة أسد، فيتقدم بهمن على رأس عشرين ألف مقاتل وخمسة أفيال إلى قبيلة أسد مهاجماً، وللمرة الثانية بدأت الكفة ترجح في ناحية الفرس.

التغلب على الأفيال:

تعجب سعد بن أبي وقاص لما رأى الأفيال من فوق القصر وأنها فوق طاقة المسلمين، فنادى على عاصم بن عمرو التميمي وقال له: ألا لك في الفيلة من حيلة؟ فقال: بلى والله. فانتخب سيدنا عاصم بن عمرو التميمي أفضل فرقة من قبيلة تميم، وكانوا من أفضل القبائل رميا بالسهام، وبدأت هذه الفرقة برمي قائدي الفيلة بالسهام، فكان كل فيل حاملاً تابوتًا كبيرا عليه أكثر من قائد، وقسَّم سيدنا عاصم بن عمرو التميمي من معه إلى فرقتين: فرقة ترمي قُوَّاد الفيلة بالسهام، والأخرى تندس داخل الجيش الفارسي لتقطع أحزمة التوابيت التي فوق الأفيال، وكانت فكرة سيدنا عاصم أن تفقد هذه الفيلة توجهها –وكانت في القيادة– لتتجه نحو الجيش الفارسي.

واستطاعت هذه الفرقة أن تصيب طائفة كبيرة من قواد الأفيال، واستطاعت الفرقة التي اندست في الجيش الفارسي أن تقطع أحزمة توابيت الأفيال، وكلما وقع تابوت كبر المسلمون،

وتقدموا إليه وقتلوا من فيه، وحدث ذلك في معظم التوابيت الثلاثة عشر، وعند ذلك يكبر سيدنا سعد بن أبي وقاص التكبيرة الرابعة، وما إن انطلقت التكبيرة الرابعة حتى انطلق المسلمون ناحية الجيش الفارسي، ويتقدم كذلك الجيش الفارسي وتلتحم الصفوف، واشتدت رحى الحرب دوراناً، وكانت المعركة على أشدها، وبدأت أسد وبجيلة في دفع بهمن جاذويه إلى الخلف، وكانت مرحلة لم يفكر المسلمون في الوصول إليها، فقد كانت البداية شديدة على قبيلتي أسد وبجيلة، حتى استطاع عاصم بن عمرو التميمي –بفضل الله – أن يرد بأس الفرس شيئاً ما.

وبعد هذا الأمر يستمر القتال بين الفريقين ما بين قاتل ومقتول من الناحيتين حتى بعد غروب الشمس بقليل، وفي هذا الوقت كانت الجيوش لا تقاتل ليلاً، ونهكت قوى الفريقين وكان القتال في غاية الشدة، واستمر القتال حتى دخل وقت صلاة العشاء، فبدأ الفريقان بترك أرض القتال كلٌّ منهما عائداً إلى مكانه قبل صلاة العشاء في أول الأيام،

وكان يوم القادسية موافقًا للثالث عشر من شعبان في العام الخامس عشر الهجري، وسمِّي هذا اليوم بيوم أرماث، واختلف الرواة في سبب تسمية هذا اليوم بهذا الاسم، لكن بالعودة إلى معنى الكلمة يتضح الأمر شيئًا ما؛ فمعنى كلمة أرماث اختلاط الشيء بالشيء، وكان الأمر مختلطًا في ذلك اليوم على الفرس وعلى المسلمين، ولا نستطيع الجزم بانتصار المسلمين أو انتصار الفرس، وأدرك المسلمون قوة الفرس، فإن المسلمين قد اعتادوا في المعارك السابقة انتهاء المعركة في يوم واحد وقبل الظهر، لكن هذه

المعركة لم تتحقق فيها نتيجة حتى بعد غروب الشمس، وإن كانت الغلبة ظاهرة في هذا اليوم في صف الفرس إلى حد ما.

واستشهد في أول أيام القادسية من المسلمين خمسمائة شهيد، منهم أربعمائة شهيد أو أكثر من قبيلة أسد وحدها التي قامت تذب عن قبيلة بجيلة، وقُتِلَ من الفرس أكثر من ألفين، وكان في المسلمين إصابات كثيرة.

ولم يقع قتال بين الفريقين في هذه الليلة وسميت بليلة الهدْأة، وبدأ المسلمون بجمع شهدائهم ونقلهم إلى منطقة "عذيب الهجانات"، وتقع قبل القادسية بميل أو أكثر، ونقلهم المسلمون على الإبل حيث كانت النساء ينتظرن المسلمين، حيث كان المسلمون قد خرجوا إلى القادسية منذ شهور، وأخذوا معهم نساءهم، وعسكروا في منطقة "عذيب الهجانات" في مؤخرة الجيش الإسلامي، وكان على النساء حبيب بن جرير الأنصاري، بالإضافة إلى اختصاصه بشئون الجرحى والشهداء،

وبدأت النساء بحفر القبور، ولا تدري أيتهن من يدفن في هذا القبر إن كان أباها أو أخاها أو ابنها، ودُفِنَ الشهداءَ في الليلة نفسها، وتجهز المسلمون لملاقاة الجيش الفارسي في اليوم الثاني.

تحفز المسلمين للقتال:

في هذه الليلة تجلس الخنساء مع أبنائها الأربعة؛ لتحفزهم على القتال، وألا يفروا من المعركة إذا حمي وطيس الحرب، وأن يكونوا على الجنة أحرص منهم على الحياة، وهي التي بكت سنينَ على أخيها صخرٍ عندما قتل في الجاهلية،

وكانت شاعرة من شاعرات العرب في الجاهلية، ومنَّ الله عليها بالإسلام، وخطبت في أبنائها؛ فقالت: إنكم أسلمتم طائعين،

وجاهدتم مختارين، وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى} :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] {آل عمران: 200[، فإذا أصبحتم غدا سالمين فاغدوا على قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين.

الأيام التالية فى معركة القادسية

استمر القتال في اليوم الأول من القادسية حتى آخر اليوم بعد غروب الشمس بقليل، ثم انفصلت الجيوش، وسميت هذه الليلة ليلةَ الهدأة؛ لأن الجيوش هدأت فيها ولم تقاتل، وكان شهداء المسلمين في هذا اليوم 500 شهيدٍ، وقُتِلَ من الفُرْسِ في هذا اليوم 2000 قتيل، وكان القتال فيه شديداً على المسلمين، وذكرنا أن هذه الشدة كانت لوجود الفيِلَة في جيش فارس وعددهم 33 فيلاً، ولم يستطع المسلمون أن يسيطروا على المعركة إلا بعد أن أفلحت قبيلة تميم في قطع التوابيت التي كانت فوق هذه الأفيال، ففرت الأفيال من المعركة ولم يعدْ لها قائد، وحينئذ بدأ المسلمون يتنفسون الصعداء، وبدأت قبيلة تميم تصد عن قبيلتي أسد وبجيلة.

وفي هذه الليلة أيضا وصلت رسالة من سيدنا أبي عبيدة بن الجراح –وهو أمير الجيوش الإسلامية في الشام– بعد أن انتصر على الروم في موقعة اليرموك؛ فقد أرسل له سيدنا عمر بن الخطاب رسالة أن يرسل مددا من الشام إلى العراق لنجدتهم،

فأرسل سيدنا أبو عبيدة بن الجراح ستة آلاف مقاتل على مقدمتهم سيدنا القعقاع بن عمرو التميمي، وكان هذا سببا عظيما في فرحة المسلمين واستبشارهم بالنصر؛ لأن سيدنا القعقاع بن عمرو من أفضل المقاتلين المسلمين، ومن أشدهم ضراوة، قال عنه سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ: إن صوت القعقاع في الجيش أفضل من

ألف رجل. وقال أيضا: لا يهزَم جيشٌ فيه القعقاع بن عمرو. فكانت هذه بشرى لجيش المسلمين، وكان على رأس الآلاف الستة سيدنا هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو ابن أخي سيدنا سعد بن أبي وقاص، وعلى المقدمة القعقاع بن عمرو، وفي أول تباشير الصباح من اليوم الثاني وصلت الفرقة القَعْقَاعِيَّة، التي تتكوّن من ألف مقاتلٍ على رأسهم القعقاع بن عمرو التميمي.

حيلة القعقاع:

لقد تفتق ذهن القعقاع عن حيلة لم تحدث من قبل في تاريخ الحروب الإسلامية أو الفارسية؛ فقد كان معه ألف فارس قسَّمهم إلى عشرة أقسام، كل قسم يتكون من مائة، وتقدم هو في أول مائة ودخل على الجيوش الإسلامية في الصباح، وهو يكبر والمائة يكبرون معه: الله أكبر! وكأنهم هم فقط المدد للمسلمين؛ فشعر المسلمون بالراحة لوجوده، ثم بعد قليل جاء مائة آخرون يكبرون: الله أكبر! ثم بعد قليل جاء مائة آخرون يكبرون: الله أكبر! وهكذا تتابعت كل مائة حتى ظَنَّ المسلمون أن هذا المدد لا ينتهي؛ فزاد ذلك في عزيمتهم، وفي معنوياتهم، وفَتَّ في عَضُدِ أهل فارس الذين اعتقدوا أيضًا أن هذه الأعداد لا تنتهي.

وعندما وصل القعقاع بن عمرو التميمي ﷺ إلى العراق، كان قد قطع في طريقه مسافة طويلة جدًّا على خيله، وعلى الرغم من ذلك نزل مباشرة إلى أرض القتال (وكما نعلم أنه من عادة

الجيوش في ذلك الحين أن ينفصل الجيشان في أول القتال ثم تبدأ المبارزة، وبعد المبارزة يبدأ الزحف والقتال العام بين الجيوش) يطلب المبارزة، فخرج له بهمن جاذويه قائد قلب الجيش الفارسي وكان على عشرين ألف مقاتل, وبهمن هذا هو الوحيد الذي انتصر على المسلمين من قبل في موقعة الجسر (رابط للمعركة)، وقتل أبا عبيد بن مسعود الثقفي، وسليط بن قيس وهو صحابي جليل من صحابة رسول الله)، فقتل القعقاع ﷺ بهمن، وعندما قُتِل بهمن جاذويه حدثت هزيمة نفسية شديدة للفرس، وشعروا أن هذا اليوم يوم شؤم عليهم؛ فقد كانوا يتشاءمون ولا يتفاءلون على عكس المسلمين، فأراد رستم أن يغيِّر من نفسية الفرس، ويشد من أزرهم فأخرج للقعقاع بن عمرو البيرزان قائد مؤخرة الجيوش الفارسية (وكان على 24000 فارسي)، وهو يقف بجيشه على ميمنة مهران الرازي قائد الميسرة، وهو أحد القواد الخمسة العظام الذين تحت إمرة رستم مباشرة، وأخرج معه قائدا آخر اسمه البندوان كان مرشحا لخلافة بهمن جاذويه على القلب، فخرج مع القعقاع بن عمرو الحارث بن ظبيان، والتقى المسلمان: القعقاع والحارث مع قائدَيِ الفرس، فتبادلا ضربتين فقتل سيدنا القعقاع بن عمرو البيرزان بضربة واحدة طارت فيها رأسه، وكذلك فعل الحارث بن ظبيان فقد قتل البندوان بضربة واحدة أيضا.

لقد فقد الفرس بذلك ثلاثة من أكبر قوادهم في أولى لحظات القتال من اليوم الثاني، وفي ذلك بشارة بالنصر للمسلمين، هذا فضلاً عن أن بدايات هذا اليوم كانت مبشرة بالنصر كالآتي:

أولاً: وصول المدد نحو ألف فارس مقدمة، وباقي المدد وعدده خمسة آلاف في طريقه إلى القادسية.

ثانيا: وجود القعقاع بن عمرو التميمي في أرض المعركة، وهذه بشارة بمفرده.

ثالثاً: قَتْل بهمن جاذويه والبيرزان والبندوان في بداية المعركة.

رابعاً: اختفاء الفِيَلَة من أرض المعركة.

ولكن لماذا اختفت الفيلة؟ اختفت الفيلة لأن توابيتها قُطِعَت كلُّها في المعركة أمسِ؛ فلم يستطع الفرس الركوب على الفيلة بدون التوابيت، والفيلة كلها موجودة في قطاع من قوات الاحتياط في ا لجيش الفارسي يصلحون من شأن التوابيت، وعمل الأحزمة الجديدة اللازمة لها بعدما قطعها المسلمون في اليوم السابق، ثم بدأت المناوشات مرة أخرى بين فرسان المسلمين والفرس.

من الشهداء الأبطال:

يخرج في هذا اليوم علباء بن جحش ليقاتل أحد الفرس فيصيب كل منهما الآخر في مقتل؛ فيضرب الفارسي المسلم في بطنه، فيقع على الأرض بعد أن ضرب الفارسي في صدره فقتله،

وخرجت أمعاء علباء خارج بطنه، فقال لرجل من المسلمين بجواره: أعنِّي على بطني. أي: ساعدني أن أدخل أمعائي في بطني؛ فأدخل أمعاءه في بطنه، ثم قام فتوجه مرة أخرى إلى أرض المعركة ليستكمل القتال (فهو لا يود أن يتوجه إلى أرض المسلمين لينسحب على الرغم ما به من إصابة قاتلة)، ولكنه سقط شهيدا بعد خطوات قليلة وهو يقول:

أرجو بها من ربنا ثوابا *** قد كنت ممن أحسن الضرابا

ثم استشهد ﷺ ، وكان هذا أيضا من أوائل المسلمين الذين استشهدوا في اليوم الثاني من أيام القتال.

ثم خرج أبناء الخنساء رضي الله عنها (وهي شاعرة من شاعرات العرب البارعات في الشعر، كانت قد أطلقت شعرا عظيما في قتل أخيها صخر في الجاهلية، وبكَتْ عليه عمرا طويلاً، ولكنها عندما أسلمت أحضرت أبناءها الأربعة في موقعة القادسية، وأخذت تحرضهم على القتال والشهادة، وتذكرهم أن الجنة هي الموعد ودار البقاء، وأن الدنيا دار الفناء)؛ فانطلق أولادها الأربعة في هذا اليوم أيضا للمبارزة قبل أن يلتقي الجمعان، فخرج الواحد منهم تلو الآخر، كل واحد منهم يخرج ويتلو بعض أبيات الشعر، ثم يتقدم ويحمل على الفُرْسِ؛ فيقْتُل منهم من يقْتُل، ثم يستَشهد، فاستُشهِد في ذلك اليوم أبناء الخنساء الأربعة، وعندما بلغها -رضي الله عنها وأرضاها- خبر

استشهادهم، قالت: الحمدُ للهِ الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

ويذكر المؤرخون في هذا اليوم بطولات عظيمة للمسلمين، وأنهم كانوا يتشوقون إلى الشهادة وإلى اليوم الذي يلقون فيه اللها ، حتى يذكَر أن سواد بن مالك –وكان من قواد المسلمين على المشاة– كان يطلب الشهادة وتستبطئ عليه؛ فقد كان يأخذ سيفه ويلقي بنفسه داخل الجيش الفارسي يقتل منهم من يقتل يبغي الشهادة فلا يستشهد، حتى اقترب من سرير رستم في عمق الجيش، ولكنه نال الشهادة التي طلبها؛ فقد أنعم الله ا عليه بها قبل أن يصل إلى سرير رستم بخطوات، واستَشهد ﷺ .

ثم تقدم القعقاع يطلب المبارزة 30 مرةً في هذا اليوم؛ فقتل وحده في الكَرِ والفَرِ ثلاثين فارسيًّا، وكل ذلك ولم يلتقِ الجيشان، واستمرت المبارزة حتى بعد صلاة الظهر في اليوم الثاني، ثم بدأ الفريقان يلتحمان مع بعضهما البعض في قتال شديد،

وقد كان الالتحام في اليوم السابق من ناحية الفرس تجاه المسلمين، إلا أنه في هذا اليوم تقدم المسلمون ناحية الفرس، وضغطوا عليهم في بداية القتال عكس اليوم السابق، ثم استمر القتال بمنتهى القوة والشدة بين الطرفين من صلاة الظهر حتى منتصف الليل دون انقطاع.

عمر والتوجيه المعنوي للجيش:

وفي هذا اليوم أيضا تصل من سيدنا عمر بن الخطاب إلى الجيش الاسلامي هدية معنوية يحمس بها الجيش ويحفزه؛ فقد بعث بأربعة خيول وأربعة أسياف هدايا إلى أهل البلاء والشدة من المسلمين، وفي الليل قبل أن تنتهي المعركة ينادي سيدنا سعد بن أبي وقاص على أربعة؛ فيعطيهم الخيول وهم: سيدنا القعقاع بن عمرو التميمي، وسيدنا نعيم بن عمرو، وسيدنا عتاب بن نعيم، وسيدنا عمرو بن شبيب وكلهم من تميم، وقد ذكرنا بأس تميم في الذود عن قبيلتي: أسد وبجيلة في اليوم الأول، وبأسها في اليوم الثاني حيث كانت في قلب المعركة، وكانت من أكثر القبائل ضغطًا على قلب فارس، ثم أعطى الأسياف الأربعة لأربعة رجال وهم: حمال بن مالك قائد المشاة، والربيل بن عمرو، وطليحة بن خويلد الأسدي، وعاصم بن عمرو التميمي. وكم كان لهذه الأسماء من دور عظيم في القتال، وبأس شديد في هذه المعركة!!

وعد الله ورسوله بفتح فارس

يقوم قيس بن مكشوح- وهو فاقد إحدى عينيه- يقول للمسلمين: "يا معشر المسلمين، إنَّ الله قد منَّ عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد؛ فأصبحتم بنعمته إخوانًا: دعوتكم واحدة، وأمركم واحد بعد أن كنتم يعدو بعضكم على بعض عَدْوَ الأسد، ويتخطف بعضكم بعضًا تَخَطُّفَ الذئاب؛ فانصروا الله ينصركم، وتَنَجَّزُوا من الله فتح فارس؛ فإن إخوانكم أهل الشام قد منَّ الله عليهم بفتح الشام، وامتلاك القصور الحمرِ. فهو يذكرهم أن الرسول كان قد بشرهم من قبل بامتلاك القصور الحمر في موقعة الأحزاب وهم يحفرون الخندق، كما بشَّرَهم بفتح فارس والشام واليمن، وهو يقول لهم: إنهم بالفعل قد امتلكوا القصور الحمر التي بشرهم بها رسول الله، ومِنْ ثَمَّ سيمتلكون المدائن، والمدائن بعد القادسية، ولكي يمتلكوها لا بدَّ من النصر في القادسية، فهو يبشرهم بالنصر، ويثبتهم على ذلك.

وفي هذا اليوم -كما ذكرنا- وصل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بجيشه، وكما فعل القعقاع بن عمرو التميمي يفعل هاشم بن عتبة، فينزل في أرض القتال ويطلب المبارزة، ويبارز من الفرس من شاء الله أن يبارز؛ فيقتل منهم الكثير، ويثبِّت ذلك المؤمنين، ويفُتّ من عَضُدِ أهل فارس، وكان القتال في هذا اليوم في منتصف أرض القادسية لا في جهة المسلمين، ولا في جهة الفرس، وكانت أعداد الفرس ضخمة كما ذكرنا من قبل، وكان القتال أيضا في منتهى الشدة في ذلك اليوم.

وفي هذه الأثناء تصل أنباء إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص بوجود مخاضة من مخاضات أهل فارس في يمين القادسية (مكان تتجمع فيه المياه وكان المسلمون يأمنون هذه الناحية)؛ يستطيع الجيش الفارسي أن يخوض من خلاله، وهكذا حتى أثناء احتدام القتال له عيون يبحثون له عن الأماكن التي يؤمنون بها جيش المسلمين؛ فعلموا أنه من الممكن إذا علِمَ الفرس بها أن يعبروا منها للمسلمين، وحتى هذه اللحظة لم يعلموا بها،

فاستدعى سيدنا سعد بن أبي وقاص فرقتين من المسلمين وأَمَّر عليهما اثنين ممن يرى فيهما البأس والشدة، وهما: طليحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن معديكرب، وأمرهما بالوقوف على هذا المكان وحراسته، وألا يُحْدِثوا أمراً إذا لم يعلم الفرس بهذا المكان، وإذا علم الفرس فَقِفُوا لهم في هذا الموقف وقوف الرجال؛ وهذه نصيحة سيدنا سعد لهما.

حوار بين طليحة وعمرو بن معديكرب:

لكن بعدما يرجع رسول سيدنا سعد بن أبي وقاص يقف طليحة وعمرو يتحاوران، ونحن نتذكر حوارهما السابق قبل القادسية، عندما طلب طليحة أن يدخل إلى جيش فارس؛ ليأسر واحداً منهم، فرفض عمرو، وهذا الحوار يتكرر مرة أخرى، فيقول طليحة لعمرو: أرى أن نخوض هذه المخاضة، ونهجم على الفرس من خلفهم. هذا مع العلم أن قوته لا تتعدى 60 مقاتلاً من المسلمين، وجيش الفرس كما نعلم وصل تعداده بعد مقتل 12 ألفاً إلى 110 آلاف؛

فقال له عمرو: أرى أن نعبر لهم من أسفل. فطليحة يرى أن يعبر المخاضة ونهر العتيق ويفاجئ الجيش من الخلف، وعمرو يرى أن يعبر إلى داخل أرض القادسية ويقاتلهم من الداخل، وكان الاثنان على خطأ؛ فهذا عكس ما أمرهما به سيدنا سعد بن أبي وقاص، ولكن رأي عمرو كان فيه بعض الصواب؛ فهو يودُّ أن يقاتل في أرض المعركة بحيث إذا حدثت هزيمة يستطيعون العودة، أما طُلَيحة فيريد أن يعبر المخاضة إلى أرض فارس من ورائهم ويقاتلهم، وفي ذلك صعوبة في الـ عودة إذا حدثت هزيمة؛ فقال طليحة: ما أقوله أنفع للناس. فقال له عمرو: أنت تحمِّلُني ما لا أطيق. فتركه طليحة بن خويلد الأسدي، وخاض المخاضة وحده –وللمرة الثانية يكرر نفس الفعل– ودخل إلى الـ جيش الفارسي بمفرده، وكان الظلام قد حلَّ في اليوم الثالث من أيام القادسية، ونفَّذ –أيضا– عمرو بن معديكرب رأيه، وعبر بالجيش من أسفل، واشتبك في قتال مع الفرس فاستبطأهم سيدنا سعد بن أبي وقاص، وكان من داخله يشعر أنه سيحدث أمر مثل ذلك؛ فأرسل لهما قيس بن مكشوح ﷺ في 70 من المسلمين، وأَمَّره عليهما إذا وصل إلى أرض القتال، وبالفعل يصل سيدنا قيس؛ فيجد عمرو بن معديكرب مشتركًا في قتال مع الفرس، فيدبر عملية من عمليات الانسحاب

الشاقة، وينسحب بالفرقة المسلمة من هذا المكان الصعب إلى جيش المسلمين، ويلوم سيدنا سعد بن أبي وقاص عمرو بن معديكرب على إقدامه غير الطبيعي على قتال الفرس، ولا نعلم ماذا حدث لطليحة؟! فقد دخل المخاضة ولم يعرف أحد عنه شيئًا؛ ثم سأله عن طليحة فلم يجد عنده خبرا، واستمر القتال حتى منتصف الليل، ثم سمع المسلمون والفرس شيئًا عجيبا داخل أرض فارس خلف الجيوش الفارسية كلها بالقرب من خيمة رستم، حيث أطلق سيدنا طليحة بن خويلد الأسدي تكبيرات ثلاثة: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر! بأعلى صوته؛ فتوقف القتال عندما سمعوا هذا الصوت، وانفصلت الجيوش وعاد طليحة بن خويلد الأسدي في الظلام مرة أخرى من المخاضة نفسها إلى جيش المسلمين، وأخبر سيدنا سعد بن أبي وقاص بما فعل، وكان الهدف من ذلك إلقاء الرهبة والرعب في قلب الفرس، وبالطبع لم يفكر طليحة في عملية استشهادية مثلما فعل من قبل، ولكن كان لهذا الفعل أثر شديد ألقى الله به الرعب في قلوب أهل فارس، وشَدَّ به من أزر المسلمين؛ فعاتبه سيدنا سعد، ثم عفا عنه لعلمه أنه يبغي النصر للمسلمين والعزة لهم.

رستم يصر على مقاتلة المسلمين زحفا:

نعلم أنه في كل ليلة تنفصل الجيوش، ولكن في هذه الليلة بعد تكبير سيدنا طليحة انفصلت الجيوش نسبيًّا، ولكن لم ينته القتال تماما، فكل فريق من الفريقين يود مواصلة القتال؛ فتجهزت

الصفوف الإسلامية مرة أخرى صفوفًا كما تفعل، وتجهزت الصفوف الفارسية كذلك، وخرج فرسان المسلمين في منتصف الليل يطلبون المبارزة (كأنه أول القتال: فارسا لفارس) فلم يخرج لهم أحد من الفرس، وأَصرَّ رستم على الزحف (أي أن يقاتل المسلمين بجماعة من الفرس، وليس فردا لفرد؛

لأن المهارة الإسلامية تقتل أفضل الأفراد في الجيش الفارسي، وفي ذلك خسارة كبيرة لهم)، وعلم سيدنا سعد بن أبي وقاص أن الفرس يبغون الزحف؛

فأمر الجيوش بألا تزحف إلا بعد أن يلقي ثلاث تكبيرات مثلما حدث في أول يوم للقتال إيذانا ببدء القتال، ثم يطلق سيدنا سعد بن أبي وقاص التكبيرة الأولى؛ فتتحمس الجيوش للقتال وتستعد حتى تهجم على الفرس بعد التكبيرتين،

وفي هذه الأثناء يتراشق الطرفان بالسهام والنبال، فيقع سهم في قلب سيدنا خالد بن يعمر التميمي، وكان صديقًا حميما لسيدنا القعقاع بن عمرو التميمي،

فقد كان بجانبه في المعركة، وفجأة وقع السهم في قلب خالد بن يعمر فقتله، واستشهد ﷺ ؛ فتعجل سيدنا القعقاع الأمر، وحركه استشهاد صديقه لأن يحمل بفرقته (قبل أن يطلق سيدنا سعد بن أبي وقاص التكبيرة الثانية أو الثالثة) على قلب الجيش الفارسي (ونحن نعلم أن سيدنا القعقاع يقف مع قبيلة تميم في قلب الجيش أمام قطاع بهمن، ونعلم أيضا أن بهمن والبيرزان قد ماتا، وأصبح قطاعهما في الأمام) فحمل عليه القعقاع، ولكن ماذا كان ردُّ فعل سيدنا سعد بن أبي وقاص؟

حكمة سعد بن أبي وقاص:

كان سيدنا سعد يعلم مدى حرص سيدنا القعقاع على نصر المسلمين، وأن هذا الخطأ منه ليس فيه كِبْرٌ أو اعتراض على الأمير، ولكنها حماسة المعركة؛ فيقول سيدنا سعد: اللهم اغفرها له وانصره (ونحن نعلم أن دعوة سيدنا سعد بن أبي وقاص مستجابة)، قد أَذِنْتُ له إذْ لم يستأذني. وذلك حتى لا ينزل الله ا سخطه على الجيش بمعصية أحد الجنود، ويقاتل سيدنا القعقاع بن عمرو التميمي في الليل قتالاً شديداً، وتدور رحى المعركة على قبيلة تميم، ثم يطلق سيدنا سعد بن أبي وقاص التكبيرة الثانية، والمسلمون يشعرون بقتال سيدنا القعقاع، وكل الناس يتشوقون للقتال، وقد قام خطباء المسلمين في هذه الليلة الثالثة يحفزون المسلمين ويرغبونهم في الجنة؛ فيقول لهم الأشعث بن قيس: يا معشر العرب، إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم (قبيلة تميم) أجرأ على الموت، وأسخى نفسا منكم. لا تجزعوا من القتل فإنه أماني الكرام، ومنايا الشهداء.

ويقوم حنظلة الكاتب كاتب رسول الله، فيقول: يا أيها الناس، لا تجزعوا مما لا بدَّ منه؛ فالصبر أنجى من الفزع. وكذلك قام ضِرار بن الخطاب) ﷺ وكان قد عاد مع جيش الشام إلى أرض القادسية)، وقام غيره يحفزون المسلمين. وبعد أن أطلق سيدنا سعد بن أبي وقاص التكبيرة الثانية حملت بعض قبائل المسلمين دون انتظار للتكبيرة الثالثة من سيدنا سعد بن أبي وقاص، وممن حمل: عاصم بن عمرو التميمي أخو القعقاع، ويبدو أنه شعر أن القعقاع في مأزق شديد

بمفرده في مواجهة الجيش الفارسي؛ فحمل استبطاء لتكبيرة سيدنا سعد بن أبي وقاص ﷺ الثالثة، فحمل بكل قبيلة تميم المتبقية، وحملت قبائل أسد وكندة وبجيلة وهؤلاء يكَونون أكثر من ربع الجيش الإسلامي، وهؤلاء جميعهم حملوا في لحظة واحدة دون استئذان من سيدنا سعد الذي كان يرى الفرق تحمل الواحدة تلو الأخرى، ويقول: اللهمَّ اغفر لها وانصرها، قد أَذنتُ لهم إذ لم يستأذنوني. ولما رأى أن جميع الفرق ستخرج؛ أطلق التكبيرة الثالثة حتى يصبح الأمر من عنده..

وبالفعل خرجت الجيوش الإسلامية كلها بعد منتصف الليل بقليل تحصد الفرس حصدا في هجوم شديد، وضغطت على الجيوش الفارسية كلها قرب نهر العتيق، وفي هذه الليلة يستشهد أرطاة بن كعب وكان يحمل لواء النخع، وهذا اللواء أعطاه له رسول الله وقال له: "إن هذا اللواء يحمله أرطاة ما بقي". وظل يحمل هذا اللواء حتى استشهد، وقبل أن يسقط منه التقطه دريد بن كعب أخوه، فاستشهد، فالتقطه قيس بن كعب أخوهم الثالث، فاستشهد. وممن استشهد في هذا اليوم أيضا سيدنا عبد الله بن أم مكتوم وهو الأعمى الذي نزلت فيه سورة (عبس وتولى)،

وكان له عذره، إذ كيف يخرج للقتال وهو أعمى؟! ولكنه يحمل راية المسلمين ويقول: أُكَثِّرُ سواد المسلمين في سبيل الله. أي أنا أقف فقط؛ لكي يتخيل الفرس أن عددنا أكثر مما يعرفون.

خطة الوصول إلى قلب الجيش الفارسى

أتى اليوم الرابع للقتال، وكان الفريقان يقاتلون منذ أكثر من أربع وعشرين ساعةً متصلةً، ولم ينقطع القتال إلا نحو ساعة واحدة بعد صلاة العشاء بعد تكبيرة طليحة بن خويلد الأسدي؛ ولكن القتال كله استمر من صباح اليوم الثالث حتى صباح اليوم الرابع، وأشرقت شمس اليوم الرابع، ورأى سعد بن أبي وقاصأن المسلمين يتواصون بالقتال؛ فعلم أن النصر في هذه الليلة "ليلة الهرير" مع المسلمين، وكان سعد بن أبي وقاص من فوق حصن "قديس" لا يرى وقائع القتال بصورة واضحة، وليس عنده من الجنود من يذهب ويعود إليه بالأخبار؛ لأن كل الجنود كانوا قد اشتركوا في القادسية لشدة المعركة، ونال التعب من الفريقين، وكان واضحا أن الحرب تقترب من نهايتها، فكل فريق قد استُنفِدَتْ طاقاته سواء الطاقات البدنية أو الخططية، فالطرفان لم يناما منذ أربع وعشرين ساعة، وكل فريق يريد للموقعة أن تنتهي.

أدرك هذه الحقيقة القعقاع بن عمرو التميمي ﵁ فقال للمسلمين: إن الدَّبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم (أي أن ميعاد الهزيمة قد اقترب، فمن يبدأ في التخاذل سيكون من نصيبه الهزيمة؛ لأن الأمر شديد على الطرفين} (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ] {النساء: 104]؛ فاصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر، فآثِروا الصبرَ على الجزع. وبدأ يحمِّس المسلمين، وقام خطباء المسلمين من جديد يحمسون المسلمين، وكأنهم في بداية القتال، وبدأ المسلمون في الهجوم الشديد على الجيوش الفارسية، وفي بداية ذلك اليوم مال النصر إلى حدٍّ كبير إلى صفِّ المسلمين، وكان القتال كله في قطاع الجيش الفارسي، كما كان الجيش الإسلامي بكامله في قطاع الجيش الفارسي يضغط عليه عند نهر العتيق الذي يقع خلف الجيش الفارسي، وكان الجيش الفارسي يتكون من خمسة قطاعات، منها قطاع البيرزان وقطاع بهمن وكلاهما دون رئيس ودون قائد؛ لأن البيرزان وبهمن قُتِلا، وبقي رستم في منتصف الجيوش في قطاع بهمن حيث تقع الطائرة التي يقيم فيها.

قام القعقاع بن عمرو التميمي بتدبير خطة حتى ينهى القتال الشديد على المسلمين وعلى الفرس؛ ففكر في أمر فكر فيه من قبل المثنى بن حارثة ، حيث فكر في أن يأخذ قبيلة تميم وهي قبيلته، ويأخذ معه نجباء المسلمين من المقاتلين، أي أن يأخذ أفضل الجنود من كتيبة الفرسان ويدك بهم قلب الجيش الفارسي، وكان يرأسه بهمن جاذويه، وكان هدف القعقاع بن عمرو أن يفصل الميمنة عن الميسرة؛ فتنقطع الاتصالات بين الفريقين، ومن الممكن بعد ذلك أن يفقدوا السيطرة، ويفقدوا صلتهم بقائدهم، وكان هدف القعقاع أن يصل إلى رأس الأفعى؛ يصل إلى رأس رستم قائد الفرس، ويقول: إذا قتلت رستم ضاعت معنويات الجيش الفارسي كله.

وبدأت بالفعل عملية من أصعب العمليات؛ لأن قطاع بهمن فيه نحو عشرين ألفاً، وقبيلة تميم كلها تقريبا ثلاثة آلاف؛ ومن فضل الله على المسلمين أن المساحة العرضية لأرض القادسية كانت ضيقة، فكان الجيش الفارسي مرتبا في صفوف بعضها وراء بعض، وهذا كان من فضل الله ، وقد أسهم ذلك في إلحاقِ الهزيمة بالفرس.

وبدأ القعقاع ومعه قبيلة تميم في الضغط على الفُرسِ، ويبدأ قلب الفرس في الانهيار تدريجيًّا أمام الضغط الشديد للمسلمين، وفي الوقت نفسه تمارس قبائل بني قحطان اليمنية الضغط على ميمنة الفرس بقيادة الهرمزان، وتضغط قبيلة قيس على مهران في الميسرة؛ حتى لا تلتف ميسرة أو ميمنة الفرس حول الجيش الإسلامي من الخلف، ويستمر المسلمون في الضغط على الفرس إلى نهر العتيق، وكانت أعداد الجيش الفارسي ضخمة، فهناك مائة وعشرون ألفًا موجودون قبل نهر العتيق، وهناك مائة وعشرون ألفًا ينتظرونهم في الناحية الأخرى، وكان قد قتل من الفرس نحو خمسة وعشرين ألفًا حتى هذه اللحظة، وتبقى –من هذا الجيش– خمسة وتسعون ألفًا، وهذا ما زال عددا كبيرا.

المدد الإسلامي يصل أرض المعركة:

في هذا الوقت الصعب يصل المدد المتبقي من الشام، وكان القعقاع بن عمرو ﷺ قد وصل على رأس ألف، وتبعه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على رأس سبعمائة، والآن وصل الآلاف الأربعة الجدد، أو وصل منهم ثلاثة آلاف، وهناك ألف وصلوا في اليوم الخامس من المعركة، فأصبح كل هذا المدد القادم يتمتع بروح عالية، وهو متعطش إلى الشهادة في سبيل الله.

ودخل المدد كله في القلب مع قبيلة تميم فزاد الضغط على رستم، وبدأ الفرس ينهارون انهيارا سريعا حتى استطاع المسلمون أن يصلوا إلى قلب الجيش الفارسي، ووصلت خيول المسلمين إلى نهر العتيق؛ ففصلت بذلك ميمنة الفرس عن ميسرتهم، وكان المسلمون يقاتلون بضراوة لم نسمع عنها كثيرا في التاريخ، حتى إن أحد المسلمين قطعت يده، واستمر يقاتل بيده الأخرى، حتى إن أحد المسلمين قد مرَّ عليه، فقال له: من أنت يا عبدَ الله؟ فقال: أنا رجل من الأنصار} مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ] {النساء: 69 .[ثم استشهد ﷺ ، وكان المسلمون مصممين على إنهاء إمبراطورية الفرس في هذه المعركة.

وصل المسلمون إلى طائرة رستم حيث مقر القيادة، وفي هذه اللحظة يأذن الله للريح أن تهب شديدة من الغرب إلى الشرق، وكانت عادتها في مثل هذه الأيام أن تهب من الشرق إلى

الغرب، ويسميها العرب ريح الدَّبور، وهي التي تمرُّ في عكس الاتجاه الذي تهب فيه طول العام، هبت الريح؛ فاقتلعت طيارة رستم من شدتها، وقذفت الريح بالرمال في أعين الفرس، وكلهم مواجهون للرياح القادمة عليهم من الغرب؛ فكان هذا نصرا من الله لا دخل للمسلمين فيه} إِن تَنصروا اللَّه ينصركم ويثبت أقدامكم] {محمد: 7]

ووصل المسلمون إلى الطائرة، ونظروا فيها فلم يجدوا رستم؛ فقد اختفى رستم، وينظر المسلمون يمينا ويسارا فلا يجدونه، فيستمرون في القتال وفي حصار اليمين واليسار، وكان في خلف طائرة رستم مجموعة من البغال وعليها مئونة الجيش، وعليها الأسلحة، وعليها المدد القادم من المدائن للجيش الفارسي.

هلال بن علفة يقتل رستم:

وفي أثناء اشتداد القتال بالقرب من البغال إذا بهلال بن عُلفة ﵁ وهو يضرب بسيفه يطيش السيف وهو يضرب به؛ فقطع حملاً من أحمال هذه البغال، فسقط هذا الحمل على الأرض، فسمع هلال بن علفة ﵁ صراخا من خلف البغل، إذن هناك من يختفي وراء هذا البغل؛ فصرخ هذا الرجل وأسرع بالفرار، فنظر إليه هلال بن علفة ﵁ فوجد عليه الأبهة والعظمة، فقال لنفسه: أهو هو؟ أي: هل هو رستم؟ فلما رآه هلال بن علفة يجري بهذه السرعة وهذه الأبهة التي كانت

عليه، قال: لا أفلحت إن نجا. وبالفعل أسرع وراءه حتى يلحق به، ويصرخ فيه رستم يقول: "بابيه". ومعناها بالفارسية: كما أنت، أي: قِفْ كما أنت؛ ظن رستم أنه أحد جنوده الذين يطيعونه.

ولكن هلال بن علفة ﵁ كان مصمما على إدراك رستم، فقذفه رستم برمح كان في يده؛ فأصاب قدم هلال بن علفة، ولكن ذلك لم يثنه، فتبعه، فقذف رستم نفسه في نهر العتيق،

وبدأ يعوم، فدخل هلال بن علفة وراءه في النهر، وجذبه من قدمه إلى خارج النهر، ثم ضربه بسيفه على رأسه؛ ففلق هامته، فكانت هذه هي نهاية رستم. وعندما قتله أدرك أنه قتل رستم عظيم الفرس وقائدهم، لِمَا رأى على ثيابه وعلى تاجه من العظمة ومن الجواهر ومن الأشياء الثمينة، فوقف هلال بن علفة على كرسي رستم في مكان الطائرة، بعد أن قامت الرياح بقذف الطائرة بعيداً،

ونادى: قد قتلت رستم ورب الكعبة، إليَّ أيها المسلمون. وظل ينادي بصوتٍ عالٍ أنه قد قتل رستم، فعلم المسلمون ذلك وتجمعوا حوله، واتخذوا من طائرة رستم مكاناً يتجمعون حوله، وعلم الفرس أن قائدهم رستم قد قُتل، فانهارت معنوياتهم، وأسلموا رقابهم للمسلمين.

الجيش الفارسي ينهار

أصبحت ميسرة الفرس محصورة تماما بين قبيلتي قيس وبكر من ناحية، وبين قبيلة تميم من ناحية أخرى، كما كان هناك بعض المستنقعات التي لا تمكّن الجيش الفارسي من الفرار، وتقدمت قبيلة قيس وحاصرت الميسرة تماما، وبدأ المسلمون في حصد ميسرة ومؤخرة الجيش الفارسي، وعلى الناحية الأخرى كان الجالينوس والهرمزان يقفان قريبا من الردم، حيث كانت مقدمة الفرس وميمنتهم قريبة من الردم وهو على نهر العتيق، وبدأ المسلمون يبيدون ميسرة الفرس، في حين يدعو الجالينوس جيشه للهرب من المنطقة، وكان يريد الفرار بالجيش من أرض المعركة.

وبدأ الجالينوس والهرمزان يقودان عملية الانسحاب للجيش الفارسي، فعبر الجالينوس الرَّدم، وبدأ الانسحاب في اتجاه الشمال وتبعه الهرمزان بعد ذلك، وبذلك تكون منطقة الميسرة والمؤخرة للجيش الفارسي قد حصدت تقريبا، وقتل معظمهم، ومن فرَّ من الجيش الفارسي قذف بنفسه في نهر العتيق، وسبح إلى الناحية الأخرى حتى يهرب من سيوف المسلمين،

وقتل في هذا اليوم من الفرس ثلاثون ألف قتيل، وكان هذا قبل أذان الظهر في يوم 16 من شعبان سنة 15هـ، وبدأ الفُرْسُ يُسْلِمون أَنفُسَهم للمسلمين، ووقعت الذلة والهوان في قلوب الفرس وقوعا شديدا؛ حتى إنه يقال: إن المسلم كان ينادي على الفارسي، فيأتيه فيعطيه سيفه، فيقتله به.

وحقًا إن المسلمين إذا ابتغوا العزة في الإسلام أعزهم الله، وإذا ابتغوا العزة في غير الإسلام أذلهم الله، وهذا الموقف تكرر في التاريخ الإسلامي بعد ذلك، ولكن على عكس الأمر؛ فعندما حدث هجوم التتار على الدولة العباسية، كان الرجل من التتار ينادي على المسلم، ويأخذ سيفه ويقتله به، والمسلم لا يدافع عن نفسه؛ لأن هذه الفترة كانت فترة من فترات الضعف الإسلامي، وكان الناس منشغلين بالشعر والعطر والأغاني، وتركوا الجهاد وطاعة الله تعالى؛ فأذلهم الله حتى عاد النصر من جديد على صيحة "وا إسلاماه" على يد قطز- رحمه الله– في موقعة عين جالوت.

فالتاريخ فيه عبَر وعظات، والمواقف تتكرر ونراها حتى يوم القيامة} فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً]{فاطر: 43 .[يقول المؤرخون: حتى كان الطفل الغلام الذي لم يبلغ الحلم من المسلمين يقتل من الفرس من شدة هوان الفرس عليهم؛ حتى إنه رئِي غلام من قبيلة النخع اليمنية يقود ستين فارسا من الفُرْسِ ويأخذهم أسرى، والفرس يرفعون أيديهم عالية.

وخلَتْ ساحة القتال تقريبا من الفرس، وأصبح الجيش الإسلامي هو الموجود فقط في المنطقة، وبدأ المسلمون في حصر الشهداء، فكان شهداء المسلمين ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد طوال أيام القتال، وصدق فيهم قوله تعالى} :وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] {آل عمران: 169، 170 .[أما في يوم القادسية فلم يستشهد من المسلمين عدد يذكر مع شدة هجوم المسلمين على الفرس، إلا أن

الله ا منَّ بالنصر على المسلمين دون شهداء في ذلك اليوم، وقُتِلَ من الفرس من بداية القتال وحتى نهايته نحو أربعين ألف قتيل.

وفاة سعد بن أبي وقاص ووصيّته

ألم بسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه مرض، فعاده الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ووضع يده على جبهته، فمسح وجهه وصدره وبطنه، وقال عليه الصلاة والسلام: اللهم اشف سعداً وأتم له هجرته. وفيما بعد قال سعد :فما زلت يخيل إلي أنّي أجد برده على كبدي حتّى الساعة.

ثبت في الصحيح من حديث مالك وغيره عن الزّهري عن عامر بن سعدبن أبيه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء يعوده عام حجة الوداع من وجعٍ اشتدّ به، فقلت: (يا رسول الله، إنّي ذو مال ولا يرثني إلّا ابنة، أفأتصدّق بثلثي مالي؟ فقال صلّى الله عليه وسلم: لا، قلت: فالشّطر يا رسول الله؟ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: لا، قلت: فالثّلث؟ فأجاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم: الثّلث والثّلث كثير، إنّك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون النّاس، وإنّك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلّا أجرت بها حتّى اللقمة تضعها في فم امرأتك، قلت: يا رسول الله أخلف بعد أصحابي؟ فقال: إنّك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت درجةً ورفعة، ولعلّك أن تخلف حتّى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون)

ولما حضرت الوفاة سعداً دعا بخرق جبّة قديم فقال: "كفّنوني في هذه فإنّي لقيت فيها المشركين يوم بدر ، وإنّما خبأتها لهذا اليوم"

وتوفّي سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بالعتيق خارج المدينة المنورة سنة خمسٍ وخمسين للهجرة، وقد تجاوز عمره الثّمانين عاماً، فحمل على أعناق الرجال فصلّى عليه مروان بن الحكم،

وصلّى عليه أيضاً أمهات المؤمنين اللواتي أدركنه، ودفن بالبقيع ، وهو آخر من مات من العشرة المبشّرين بالجنّة.

فهرس